الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عباس لغرور خنشلة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

الشعبة: فلسفة

التخصص: فلسفة عامة

الرقم التسلسلي: ...../ ك.ع إ ج.إن/ ق ع إ ج/2023

الأخلاق عند ابن مسكويه

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي في شعبة فلسفة تخصص فلسفة عامة

اعداد الطالبتين:

- حميدان سلمى
- هوادفي منى

اشراف الأستاذ الدكتور:

* أ. د. معيرش موسى

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الصفة	الرتبة العلمية
فرفودة فاطمة	رئيسا	أستاذ محاضر ب
معيرش موسى	مشرفا و مقررا	أستاذ دكتور
عمرون مليكة	ممتحنا	أستاذ مساعد أ

السنة الجامعية: 2023/2022

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شكر وعرفان

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد....

الى كل من أشعل شمعة في دروب علمنا، والى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره فكرة لينير دربنا.

فإننا نشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لنا إنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولا وآخرا ثم نشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لنا يد المساعدة وفي مقدمتهم المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور [معيرش موسى]، وكل أساتذة قسم الفلسفة في جامعة عباس لغرور.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من مد لنا يد العون من بعيد أو قريب ولو بالكلمة.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع الى من كلله الله الهيبة والوقار، الى من أحمل إسمه بكل افتخار: أبي الغالي

إلى بسمة الحياة وسر الوجود ومن كان دعائها سر النجاح وحنانها بلسم الجراح: أمي الغالية.

الى أعز أنسان في حياتي ورفيق دربي الذي ساعدني بقدر لا يستهان به:

زوجي الغالي.

الى إخوتي و أخواتي الذي ساندوني ولايزالون (مريم أحمد أشواق حنين عز الدين) رزقهم الله كل خير.

الى أبناء أختي، حفظهم الله وسدد خطاهم

الى صديقاتي واقاربي وزملائي واحبابي من دون استثناء.

الى كل من يذكرهم قلبي ونساهم قلمي اهدي هذا البحث.

حميدان سلمى

الإهداء

الى روح أبي الطاهرة

الى أمي الغالية

الى زوجي رفيق دربي

الى كل أولادي: ولاء هبة الرحمان ، سجود آيات ، عبد الباسط

والى كل فرد من عائلتي الكبيرة

اهدي هذا البحث

هوادفي منى

مقدمة

➢ مقدمة:

تشكل الأخلاق ركنا أساسيا من أركان الوجود الاجتماعي، ونسقا حيويا في نسيج الحياة الإنسانية المعاصرة، فالأخلاق نظام من القيم يوجه حياة الفرد وينهض بها الى أرقى مستوياتها الإنسانية.

فالإنسان لا يحقق جوهره الإنساني إلا في صورته الأخلاقية، لأنه الكائن الوحيد في مملكة الكائنات الحية الذي يضحي برغباته وميوله على مذابح السمو الأخلاقي، فهو يسعى الى تجسيد قيم الحق والخير، الجمال والشرف، الكرامة والايثار، التسامح والشجاعة وكل القيم والفضائل التي تشكل جوهر الحياة الأخلاقية وغايتها.

فلقد أقر المفكرون والباحثون على مر التاريخ الإنساني، أن حياة المجتمعات لا تستقيم من غير القيم الأخلاقية وذلك لأنها تشكل النسيج الحيوي لوجود المجتمع في آن واحد وأن غياب القيم الأخلاقية، أو تدهورها يؤدي بالضرورة الى تصدع المجتمع وانهياره.

ولما كانت الأخلاق مطلب ضروري وحضاري للأمم والشعوب، أصبح التأسيس لهذا التصور مطلبا مهما فأدرك الفلاسفة والمفكرون في كافة المشارب والمذاهب أهميته وضرورته في المجتمع فأنتجوا بذلك عبر مختلف العصور في التاريخ فيضا من المفاهيم والأبحاث في هذا المجال.

فلقد نالت الفلسفة الإسلامية حضها الوافر في هذا الميدان _ الأخلاق _ على غرار تناولها لمباحث أخرى مثل: المنطق والالهيات والطبيعيات وقضايا الوجود والله والإنسان نجد كذلك سؤال الأخلاق قد طرح بشكل كبير في الفكر الإسلامي.

ورغم كتابات العديد من الفلاسفة المسلمين في موضوع الأخلاق إلا أننا نجد الفيلسوف الإسلامي ابن مسكويه يعد أبرز وأول من تناوله، فقد عُرف بكتاباته في مجال الفلسفة الأخلاقية

كما تعد أفكاره بالمفهوم الشامل للكلمة الرائد في الفكر الفلسفي الإسلامي والإنساني، باعتباره الوحيد الذي وقف عليها واعتنى بها أكثر من أي فيلسوف مسلم آخر.

يعتبر ابن مسكويه من الفلاسفة المصلحين في الإسلام لأنه اهتم بالأخلاق وقيمها وعلاقتها بالإنسان في زمن المتغيرات، ولأن هذا الموضوع يعد من أصعب التخصصات التي يمكن البحث فيها لما يحمله من أبعاد تمس مختلف المجالات، ما يعطيه طابعا متشعبا ومتداخلا، ولأنه يخص أرقى الكائنات الحية وهو الانسان وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على قيمة وأهمية هذا الموضوع في الفكر الفلسفي بصفة عامة وفي الفلسفة الإسلامية بصفة خاصة.

ولما كان ما تركه لنا ابن مسكويه يعد إرثا ثقافيا إسلاميا كبيرا، كان لزاما علينا تسليط الدراسة على فلسفته الخلقية وعلى أهم المصادر التي أثرت على فكره الفلسفي.

اشكالية الدراسة:

ما طبيعة الأسس الفكرية التي تأسست عليها الأخلاق عند ابن مسكويه؟

المشكلات الفرعية:

- ماهي مصادر ابن مسكويه الأخلاقية ؟
- هل يمكن الحديث عن نظرية أخلاقية في فلسفته؟ أم أنه اكتفى بترديد ما ذكره الأقدمون؟
- وأخيرا فيم تتجلى فلسفة ابن مسكويه الخلقية؟

منهج الدراسة:

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج التحليلي لدراسة النصوص والأفكار على سبيل التوضيح والفهم وهو المنهج الملائم لمثل هذه الدراسات الفلسفية.

أسباب اختيار الموضوع:

ولقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع والذي عنوانه " الأخلاق عند ابن مسكويه " مجموعة من الأسباب من بينها:

- الرغبة في الاطلاع على الدراسات الفلسفية الأخلاقية الخاص بالمسلمين
- زيادة وإثراء رصيدنا العلمي والمعرفي
- مناقشة الرأي القائل بأن هناك نقص في الدراسات الفلسفية الأخلاقية عند مفكري الإسلام

أهداف الدراسة:

أما عن أهدافنا التي سطرناها من وراء هذا البحث فكانت كالتالي:

- إثبات أن هناك فلسفة أخلاقية إسلامية واضحة المعالم وابن مسكويه كنموذج
- التعامل مع التراث الفكري الإسلامي بأساليب معاصرة كي نصل ماضينا بحاضرنا دون تكلف أو تصنع
- المحافظة على تراثنا الفلسفي الإسلامي والاهتمام به ودراسته من كل الجوانب على غرار الفكر الغربي
- التأكيد على أصالة الفكر الفلسفي الإسلامي وتنوعه

خطة الدراسة:

وللإجابة عن كل الأسئلة السابقة الذكر اعتمدنا على الخطة المكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة كانت على النحو التالي:

الفصل الأول: وقد خصصناه للحديث عن مصادر ابن مسكويه الأخلاقية انطوى تحته مبحثين:

- المبحث الأول: تناولنا فيه ثلاثة مطالب أوله عن مفهوم الأخلاق والمطلب الثاني حول مفهوم علم الأخلاق أما عن المطلب الثالث فقد خصصناه عن تعريف فلسفة الأخلاق،
- أما في المبحث الثاني: فكان حول مصادر ابن مسكويه الأخلاقية من الفلسفة اليونانية ثم مصادره من الفلسفة الإسلامية في المطلب الأخير تناولنا منهج ابن مسكويه الذي اعتمده في فلسفته الأخلاقية بصفة عامة .

أما في الفصل الثاني، فقد تحدثنا فيه عن أهم المباحث الأخلاقية لفلسفة مسكويه والذي يندرج تحته هو الآخر مبحثين هما:

المبحث الأول: تناولنا فيه قوى النفس ومراتب الفضيلة وعلاقتهما ببعض.

أما عن المبحث الثاني، فكان حول العدالة والسعادة الإنسانية مع الحديث عن أصناف الشقاء المقابلة لهذه السعادات، أما عن الفصل الثالث فقد كان حول طبيعة الأخلاق عند ابن مسكويه، والذي تضمن هو الآخر مبحثين، ففي المبحث الأول تحدثنا فيه عن السلوك الخلقي وتربية الطفل موزع في مطلبين، أما المبحث الثاني فكان حول الصداقة والخوف من الموت وطبيعة الاستدلال على وجود الله وعلاقتهما بالأخلاق انطوت تحته هو الآخر ثلاثة مطالب فرعية.

صعوبات الدراسة:

أما عن الصعوبات والمشاكل التي واجهتنا فقد تمثلت في قلة وندرة بعض المصادر لابن مسكويه.

وفي نهاية بحثنا حاولنا تلخيص أهم الأفكار والنتائج التي توصلنا إليها إضافة الى بعض الانتقادات الموجهة لهذا المفكر الإسلامي.

الفصل الأول

- الفصل الأول: مصادر ابن مسكويه الأخلاقية.
- المبحث الأول: مشكلة الأخلاق قبل ابن مسكويه
  - المطلب الأول: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحا
  - المطلب الثاني : مفهوم علم الأخلاق
  - المطلب الثالث : فلسفة الأخلاق
- المبحث الثاني : مصادر ابن مسكويه الأخلاقية ومنهجه
  - المطلب الاول: مصدره من الفلسفة اليونانية
  - المطلب الثاني: مصدره من الفلسفة الإسلامية
  - المطلب الثالث: منهجه .

- **تمهيد:**

لقد كانت الأخلاق من أهم المواضيع التي خاض فيها الفلاسفة والمفكرون بالدراسة والتحليل كما أنها تعتبر من أهم المباحث الفلسفية والتي تتدرج ضمن مبحث القيم، ويعتبر ابن مسكويه من أهم الفلاسفة المسلمين الذين خاضوا في هذا المجال، وربما يعتبر من الأوائل الذين اهتموا به، وللحديث عن هذا الموضوع يقتضي منا التطرق الى تعريف الاخلاق لغة واصطلاحا، ولما كان البحث مخصص لابن مسكويه كان لزاما علينا التطرق الى مصادره الأخلاقية سواء من الفلسفة اليونانية أم من الشريعة الإسلامية.

المبحث الأول: الأخلاق قبل ابن مسكويه:

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق:

ولضبط مفهوم الأخلاق أكثر لا بد من الإشارة الى تعريفه اللغوي والاصطلاحي في كل من الفكر الغربي والفكر العربي:

- **الأخلاق في الفكر الغربي:**

توظف الأخلاق الغربية أربع كلمات متداخلة للإشارة إلى مفهوم الأخلاق: Ethique Morale، Axiologie، Déontologi ويصعب الفصل بين دلالة هذه الكلمات التي تترادف وتتداخل وتتقاطع بصورة مستمرة عن الأخلاق كنظام أو علم أو فلسفة، ويبلغ هذا التداخل أشده بين كلمتي: Ethiqueو Morale وهما مفهومان مترادفان في مستوى الاشتقاق متداخلان في الدلالة والمعنى.[1]

اشتقت لفظة الأخلاق " Morale " من الأصل اللاتيني Moralis، وتشير الكلمتان الى الأخلاق والآداب، والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع بصورة عامة.أما لفظة Ethique فهي مشتقة من اللفظة الإغريقية Ethikos ويقابلها في اللاتينية Ethica والتي تعني أيضا في استخدامها العام النظام الأخلاقي المعياري لجماعة أو مجتمع محدد

حيث يعمل هذا النظام الأخلاقي على توجيه سلوك الأفراد نحو الفضيلة والحق والخير والواجب والقيم الأخلاقية بصفة عامة.[2]

وقد استخدم مفهوم Ethique لأول مرة في اللغة الفرنسية في القرن الثالث عشر بمعنى الأخلاق. وفيما يتعلق بمفهوم " Morale فإن أول استخدام له في اللغة الفرنسية كان في عام: 1530.[3]

---

[1] علي عبد المعطي محمد: المدخل الى الفلسفة، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 1999 ص: 47

[2] المرجع نفسه: ص: 48

[3] – Grawitz madelin lexique des sciences sociales dallos paris 1983 p 144-256

وتتداخل لفظة Ethique تداخلا كبيرا مع لفظة Morale، حتى أنه يصعب الفصل بينهما، ويجري استخدام كل منهما مكان الآخر بالتتابع والتقاطع والترادف بصورة متواترة ففي اللغة العادية تعد كلمة Morale مرادفة طبيعيا لكلمة Ethique وتشير كل منهما الى الطريقة التي يعيش فيها الناس وفقا للقيم والمبادئ الأخلاقية، طلبا للخير وتجنبا للشر.ولكن بعض العلماء يميزون بين الكلمتين تمييزا واضح المعالم حيث يوظفون كلمة Morale للتعبير عن نسق القيم والمعايير والمبادئ الأخلاقية التي توجه السلوك سلوك الفرد والجماعة، أي أخلاق الفرد والجماعة.

أما كلمة Ethique فتتوظف للدلالة على النظرية الأخلاقية أو الفلسفة الأخلاقية السائدة في المجتمع. وغالبا ما توظف كلمة Ethique للتعبير عن نمط نقدي في التفكير الأخلاقي الذي يتجه نحو تقييم السلوك وشروطه الحيوية في مجتمع ما.[1]

أما عن الفلاسفة الأمريكيون فغالبا ما يستخدمون الكلمتين بمعنى واحد، دون التمييز بينهما في حين يوظف الأوربيون الكلمتين توظيفا متباينا.

أما عن كلمة Déontologie (علم الأخلاق المهنية) فقد ظهرت على يد جيرمي بينتام في كتابه المعروف: " Posthume " الذي نشر في عام: 1834 وعنى بها علم الأخلاق أما " عن مفهوم " الأكسيولوجيا " فهو أكثر المفاهيم وضوحا من المفاهيم السابقة، حيث بدأ استخدامه مع بدايات الفلسفة اليونانية خصوصا عند سقراط، افلاطون وأرسطو، ويعود هذا المصطلح إلى الأصل الإغريقي Axia ou Axios ويعني في الأصل علم القيم الأخلاقية، وفي الفلسفة يعني مبحث نظرية القيم.وكان هارتمان von hartmann " [2]

[1]- ricoeurp avant la loi morale léthique Encyclopedia Universalis les engeux p 42-45

[2]- ricoeurp avant la loi morale léthique Encyclopedia Universalis les engeux p 42-45

" أول من استخدم هذا المفهوم في كتابه المعروف Axiologie et ses divisions ثم بعد ذلك استخدمه بول لابي Paul Lapie في بداية القرن العشرين في كتابه منطق الإرادة Logique de la volonté " .[1]

إن ما يمكن استخلاصه من هذه المفاهيم: (Ethique، Morale، Axiologie، Déontologie) أنها مصطلحات متمايزة عن بعضها البعض في سياق الاستخدام والتوظيف في مختلف المباحث الأخلاقية.[2]

- **الأخلاق في الفكر العربي:**

- **لغة:**

الأخلاق في اللغة العربية جمع " خُلُق " بضمتين أو " خُلْق " بضمة وسكون، وجرى تعريف الأخلاق في المعاجم اللغوية على إيقاع واحد قوامه الخلق والجبلة والطبع والسجية والخلق أي السجية والطبيعة، يقال خلق حسن وخليقة وهي ما خلق عليه من طبيعته، ويمثل الخلق الصورة الباطنية للإنسان والتي هي عبارة عن نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، فخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة قال تعالى: "" **وإنك لعلى خلق عظيم** " (القلم 4) بينما خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، قال تعالى: " **خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم** " (الرعد 16).

فالخلق يمثل الصور الظاهرية للإنسان. وأصل الخلق: التقدير المستقيم نقول مثلا: خلق الخياط الثوب أي قدره قبل القطع وعليه التقدير الحاصل في الصورة الباطنية للإنسان فيقال له الخلق.[3]

---

[1] – ricoeurp avant la loi morale léthique Encyclopedia Universalis les engeux p 45-55

[2] –المرجع نفسه ص،56

[3] – ابن منظور: لسان العرب، ج10، مادة خلق ، ص: 858.

وجاء في لسان العرب أن " الخلق الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها المختصة بها. بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة أوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة " .[1]

فالخلق في لغة العرب: هو الطبع والسجية، وقيل المروءة والدين، قال العلامة ابن فارس: " الخاء واللام والقاف " أصلان إحداهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء

ومن ذلك: الخلق وهي السجية: لأن صاحبه قدر عليه " [2]

وقال الفيروز أبادي: " الخُلق بالضم وبضمتين، السجية والطبع، والمروءة والدين " [3]

وقال ابن منظور: " الخلق، الخليقة، أعني الطبيعة في التنزيل، والجمع أخلاق لا يكسر على غير ذلك " [4]

ويضيف ابن منظور صاحب لسان العرب: " واشتقاق خليق وأخلقه من الخلاقة وهي التمرين، ومن ذلك تقول للذي ألف شيئا صار له خلقا أي مرن عليه ومن ذلك الخلق الحسن، ويقال خالق الناس أي عاشرهم، وفلان بكذا لي جدير به، ورجل خليق أي حسن الخلق..." [5]

أما جميل صليبا فيعرف الخلق قائلا: " الخُلق في اللغة العربية السجية والطبع والعادة والمروءة والدين " [6]

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب، ج10، مرجع سابق، ص: 134.

[2]–ابن فارس: معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت، ص: 329.

[3]– الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ص: 793.

[4]–ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار صادر ط1، بيروت، 1990، ص: 85-87.

[5]– ابن منظور: المرجع نفسه: ص: 87.

[6]–جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 539.

- **اصطلاحا:**

تعرف الأخلاق على أنها عبارة عن منظومة من القيم والمعايير السلوكية التي يرتضيها المجتمع لنفسه وأفراده، والتي من خلالها يسعى محاولا كسب فضائل الحق والخير والجمال، وقد تعددت وتنوعت تعريفاته باختلاف المذاهب والتوجهات الفكرية.

فنجد مثلا جميل صليبا يعرفها: " حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية " [1]

ونفس ما ذهب اليه إبراهيم مدكور في قوله: " الخلق حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من غير حاجة الى فكر وروية " [2]

وجاء في المعجم الوسيط أن الأخلاق: " حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير فكر وروية ".[3]

ويميز التهانوي في كشاف اصطلاحات العلوم والفنون بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة" خُلق " فيقول: " الخلق في اللغة العربية، العادة والطبيعة والدين والمروءة، والجمع والأخلاق، وفي عرف العلماء: ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال من غير تقدم فكر وروية وتكلف " .[4]

ونجد هذا التأكيد على السجية الخلقية والعفوية لدى الجرجاني: " عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فإن كان الصادر عنها الأفعال

[1]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص: 539.

[2]–إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، 1983، ص 81.

[3]– المعجم الوسيط: مادة خلق، ص 343.

[4]– محمد التهناوي: كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مكتبة لبنان (د ط)، بيروت، 1996، ص 57.

الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئاً ".[1]

وعلى هذا المنوال يعرفها ابن منظور بقوله: " الخُلُقُ والخُلْقُ فهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته، أنه صورة الانسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة " .[2]

وتتضح تلقائية وعفوية الفعل الأخلاقي في منظور فخر الدين الرازي الذي يعرف الخُلُق بقوله: " الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة " .

ويسير الغزالي على المنهج ذاته في تعريفه للأخلاق حيث يقول: " الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها، تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية (....) وإنما اشترطا، أن تصدر الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خُلُقُهُ السخاء والحلم " [3]

أما بن مسكويه فهو يرى أن الأخلاق: " حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم الى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولا فأولا، حتى يصير ملكة وخلقا " .[4]

وتأسيسا على ما تقدم من التعريفات اللغوية الخالصة في اللغة العربية للخلق والأخلاق نجد بأن معنى الأخلاق يتحدد بمعيارين، يتمثل المعيار الأول في مبدأ الرسوخ والثبات والدوام والطبع،

---

[1]– الجرجاني: التعريفات، مكتبة دار الكتب العلمية، لبنان، ص 101.

2– الفيروز ابادي: القاموس المحيط، دار الفكر، (د ط)، بيروت، ص 793.

[3]– أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3، دار المعرفة، (د ط)، بيروت، ص 55.

[4]– ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة المعارف، مصر، 1329هـ، دط ص 51.

في حين يتمثل الثاني في مبدأ التلقائية، حيث يجري السلوك من غير تكلف وانفعال.وهذا يعني أن الأخلاق تمثل منبع السلوك التلقائي بما يصدر عنه من أفعال الخير والشر.[1]

ويمكن لنا في هذا السياق التأسيس لأربع أفكار أساسية تؤكدها أغلب التعريفات التي سقناها في الثقافة العربية:

- ترتسم الأخلاق في النفس على صورة السجية والفطرة والطبع في الانسان ولذا فإنها تتسم بطابع الديمومة والاستمرار.
- يمكن اكتساب الأخلاق عن طريق الاكتساب فتتحول الأخلاق المكتسبة عبر الزمن الى سجية، وطبع وطبيعة
- تشكل الأخلاق منبع السلوك الإنساني ومصدره.
- تدور الأخلاق حول معاني الخير وكل الفضائل السامية التي عرفت بها المجتمعات الإنسانية.[2]

من خلال تناولنا لمفهوم الأخلاق في الثقافتين الغربية والعربية، نجد انه إذا كان التجانس يشكل سمة لتعريف الأخلاق في الثقافة العربية فإن الاختلاف يشكل الطابع العام في استخدام هذا المفهوم في الثقافة الغربية، وإذا كانت الثقافة العربية الكلاسيكية تأخذ المفهوم على أنه صيغة فردية سيكولوجية فإن الثقافة الغربية تتناوله في وظيفته الاجتماعية بوصفه نسقا من القيم التي تمارس مع المحافظة على تماسك المجتمع ووحده

- **المطلب الثاني : تعريف علم الأخلاق**

إن أول ما ينبغي البدء به علم من العلوم، هو التعريف به وبموضوعه، فإذا حاولنا تعريف علم الأخلاق فإنه من المسلم به أن نقدم المعنى اللغوي وهذا قد أشرنا اليه سابقا ومن التعريفات

[1]– علي وطفة: الأسس الرمزية والأسطورية لنشأة الأخلاق في سيكولوجيا فرويد، المعرفة السورية، العدد 566 نوفمبر 2010 ص 59.

[2]– علي وطفة: الأسس الرمزية والأسطورية لنشأة الأخلاق في سيكولوجيا فرويد، مرجع سابق، ص 60.

لهذا العلم ما يتجه به نحو سلوك الانسان بالنظر الى مثل أعلى، حتى يمكن وضع قواعد عامة للسلوك والأفعال التي تعين على فعل الخير والابتعاد عن الشر[1]

ويعتبر علم الأخلاق أو الفلسفة الخلقية عادة من العلوم المعيارية أي لا تقتصر على دراسة ما هو كائن وإنما ما ينبغي أن يكون عليه ولذا فهو يحاول: " وضع الشروط التي يجب توافرها في الإرادة الإنسانية وفي الأفعال الإنسانية لكي تصبح موضوعا لأحكامنا الأخلاقية عليها " [2]

لقد اختلفت وجهات النظر في تعريف هذا العلم تبعا لاختلاف الغاية منه بنظر المعرفيين ولذلك نجد تعريفات عديدة ولكل تعريف أوجه قصور

يعرف علم الأخلاق بأنه:

- علم الخير والشر: عرف بعض العلماء علم الأخلاق انه علم يبحث فيه عن الخير والشر والحسن والقبيح وأن الانسان عن طريق هذا العلم يستطيع أن يميز بين كل منهما فيسير في طريق الخير والفضيلة ويبتعد عن طريق الشر والرذيلة.
- علم الانسان: ومقصدهم في ذلك أنه علم يبحث في الأعمال التي تصدر عن الإنسان، ويصدر حكمه على هذه الأعمال الإنسانية ويرسم طريق السعادة للإنسان ويرشده الى أسبابها، وهذا التعريف للكاتب الفرنسي باسكال وهذا التعريف أوسع بكثير من دائرة الإنسان[3]
- علم الواجب والواجبات: ومقصدهم من ذلك أنه يهدي الانسان الى ما يجب عليه تركه أي الأشياء التي ينبغي أن يفعلها الإنسان، التي ينبغي له أن يبتعد عنها يسلم من عذاب ربه

غير أن هذه التعاريف لا نجدها تطبق شرط التعريف العلمي وهو أ يكون التعريف جامعا مانعا

هناك تعريفات اصطلاحية أخرى وهي:

[1]– يحي هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د ط ، ص 89.

[2]– ليون جوتييه: مدخل لدراسة الفلسفة، تر محمد يوسف موسى، دار الكتب الأهلية، 1346 هـ، دط ، ص ص 89–91.

[3]– آمنة نصير: الأخلاق في التصور الإسلامي، تقديم عبد الرحمان حسن حنبكة وآخرون ، د ط ، ص 157.

يعرفها حاجي خليفة في مادة الأخلاق عن ابن صدر الدين الشروان هو: " علم الفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها " [1]

وعرفه ابن مبارك: " هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى " [2]

وقال الحسن البصري: " حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه " [3]

ويعرفها جميل صليبا: " علم الأخلاق هو علم السلوك وهو من أقسام الحكمة العملية، ويسمى أيضا بتهذيب الأخلاق والحكمة الخلقية " [4]

إذن فالأخلاق يوضح لنا الحياة الأخلاقية ويساعدنا على معرفة الغاية الأخيرة للحياة ويبين، لنا المقياس الأخلاقي الذي نهتدي به في الحكم على الأعمال، وبعبارة أخرى هو علم يفسر لنا معاني الخير والشر، كما يوضح لنا الصورة المثلى التي ينبغي أن يتبعها الناس في معاملاتهم للآخرين، ويبين ما ينبغي أن يقصده الناس في أعمالهم.

وباختصار فهو علم ينير الطريق لما ينبغي أن يكون، فعلم الأخلاق يبحث عموما في ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني فهو لا يبحث فيما يوجد وإنما يبحث فيما ينبغي أن يوجد عليه المرء.

ومن اجمع التعاريف وأحسنها نجد تعريف العلامة ابن القسم حيث قال : " هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة وأقوال مطابقة للحق تتصدر تلك الأقوال مطابقة فتكتسب النفس بها أخلاقا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها " [5]

---

[1]– آمنة نصر : الاخلاق في التصور الإسلامي ،المرجع نفسه، ص 6.

[2]– آمنة نصر : الاخلاق في التصور الإسلامي ، مرجع سابق، ص7.

[3]– المرجع نفسه، ص 8.

[4]–جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 540.

[5]– محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق، جامعة الأزهر، مكتبة للطباعة الاوفست، دط ، ص 125.

إذن فعلم الأخلاق ليس القواعد السلوكية المعتبرة بلا شرط وإنما هي نظرية عقلية للخير والشر، ويمكن تعريف علم الأخلاق العلم المعياري لسلوك الكائنات البشرية التي تحيا في المجتمعات وأنه العلم الذي يحكم على مثل هذا السلوك بالصواب أو بالخطأ.[1]

إن هذا التعريف ينص أولا على أن الأخلاق علم ويمكن تحديد العلم على بأنه نسق معرفي لمجموعة وقائع جزئية مترابطة ولفظة نسقي تعتبر لفظة هامة لأنه تميز المعرفة العلمية عن المعرفة العادية.

كما يطلع علم الأخلاق، الى إنشاء قواعد عامة للسلوك والأفعال ويفسر لنا معاني الخير والشر فهو علم يوضح لنا الحياة الأخلاقية ويساعدنا على معرفة الغاية الأخيرة ويبين لنا المقياس الأخلاقي الذي نحكم به على الأعمال، وبعبارة أخرى هو " علم يفسر لنا معاني الخير والشر ويوضح لنا الصورة المثلى التي ينبغي أن يتبعه الناس في معاملتهم للآخرين ويبين ما ينبغي أن يقصده الناس في أعمالهم من غايات وباختصار هو علم ينير الطريق لما ينبغي أن يكون " [2]

فالأخلاق إذن علم معياري يدرس ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني فيضع بذلك قوانين الأفعال الإنسانية، أو المبادئ العليا لها لذلك فمهمته هي وضع الشروط التي يجب توفرها في الإدارة الإنسانية، وفي الأفعال الإنسانية لكي تصبح موضوعا لأحكامنا الأخلاقية عليها.

ويمكن أن نحصر السلوك الذي تتعامل من خلاله مع علم الأخلاق بطريقتين:

1-فنحن نتعامل مع أفعال إنسانية مختارة وليس مع أفعال حيوانية، على الرغم من أن وفاء الكلب لسيده شديد الشبه بالفعل الإنساني الخير بيد أن استبعاد مثل هذا الفعل الحيواني وغيره يعزي الى كونه غير اختياري.[3]

---

[1]- اندري لالاند: الموسوعة الفلسفية ، ص 234 .

[2]-وليام ليلى: مقدمة في علم الاخلاق، تر عبد المعطي محمد، الإسكندرية، دط ،2000، ص ص 26-39

[3]- قلامين صباح: محاضرات في فلسفة الأخلاق، سلسلة المحاضرات العلمية، مركز جيل البحث الثالث، لبنان، طرابلس، ماي 2015، ص 12.

2-وإذا كان علم الأخلاق هو العلم الذي يدرس سلوك الكائنات البشرية التي تعيش في المجتمع، فإن هناك من بين رجال الأخلاق من يحدد هذا السلوك أكثر بقوله إن هذا السلوك يقتصر على علاقة الفرد بغيره من الأفراد في مجتمعه الذي يحييا.

وينقسم البحث في علم الأخلاق الى مجالين متميزين وهما:

أ- **علم الأخلاق العملي:** ويبحث في أنواع الملكات الفاضلة التي ينبغي للإنسان أن يتحلى بها ويقوم بممارستها في حياته اليومية مثل: الإخلاص، الصدق، العفة....

وهذه الأفعال لها ما يمثلها في الخارج، وقد عرفت الشعوب القديمة والحديثة مثل هذه الأفعال أو الأخلاق العملية.

ب_ علم الأخلاق النظري: ويبحث هذا النوع في المبادئ الكلية التي تستنبط منها الواجبات الفرعية، كالبحث عن حقيقة الخير الأسمى والمطلق وفكرة الفضيلة، وعن كل المقاصد البعيدة والأهداف العليا لهذه القيم، ويطلق على هذا الجانب أيضا فلسفة الأخلاق، فعلاقته بعلم الأخلاق العملي كعلاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه، وبالتالي فعلم الأخلاق النظري ليس موضوعه الأفعال التي مثالها في الخارج، وإنما موضوعه[1] هو" حسن العمل المطلق وفكرته المجردة التي لا يتحقق مسماها خارجا الا في ضمن الأنواع التي يبحث عنها العلم العملي " [2]

إن هذه الأنواع تعتبر بمثابة وسائل لتحقيق الغايات التي يبحث عنها العلم النظري، والتي تتمثل في فكرتين أساسيتان هما الخير المطلق والفضيلة الكلية.

والعلاقة بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية ليست علاقة تنافي وتعارض، بل هي علاقة تداخل وتفاعل وإخصاب، وإلا كان فيلسوف الأخلاق شريرا بالضرورة، ولكان كل إنسان فاضل دمث الأخلاق، غبيا أو على الأقل عديم التأمل والتبصر والنظر، إنما هي تقسيمات أكاديمية يراد

[1]- محمود حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، ط 3، الكويت، 1983م، ص: 16

[2]- المرجع نفسه ، ص17

بها التحليل والتبسيط تجنبا للتعقيد الذي تتصف به الظاهرة الخلقية وتسهيلا للبحث والدراسة في هذا الموضوع.

إن الحديث عن مسألة علم الأخلاق يفتح لنا بابا آخر ذو فائدة وأهمية كبيرة، وهي الغاية من دراسة علم الأخلاق. بمعنى ماهي الفائدة التي ترجى من الاشتغال بعلم الأخلاق؟ ولماذا يسعى الدارسون الى البحث في هذا الموضوع؟

إن دراسة علم الأخلاق _ من الجانب الديني أو الفلسفي_ لها فائدة عظيمة في ترشيد السلوك الإنساني وتوجيهه نحو القيم الأخلاقية العليا والمثل العليا على أساس من الفهم والوعي والإدراك.

فلو لم تكن هذه الدراسة مهمة ولها وزن كبير لما وجدنا القرآن الكريم يحث عليها ويؤكد عليها في معظم آياته نجد مثلا في قوله تعالى: " **(فَذَكِّرِ فإِنّ الّذكْرَى تَنْفَعُ المُؤمِنِينَ)الذاريات [55]** [1].

ونجد أيضا السنة النبوية الشريفة تركز في تعاليمها على ضرورة التحلي بالأخلاق الحميدة فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثال يحتذى به في القيم الأخلاقية الرفيعة، حتى قيل عنه أنه كان خُلُقُهُ القرآن، والقرآن كله أخلاق يقول: " أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسن خلقه" **رواه أبوداود** "

ويقول أيضا: " ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق" رواه الترمذي " [2]

[1]– سورة الذاريات: الاية 55.

[2]– مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999م، ص 134.

فإذا كان من الممكن تغيير طبائع البهائم والحيوانات المتوحشة، فإن تغيير طبائع الإنسان يكون أكثر من إمكانية _من باب أولى _ ما يوضح لنا أن الدراسة الأخلاقية تقوي إرادة الإنسان على فعل الخير وتنشيط العزيمة والمُضي في سبيل تحقيق العدالة.

كما أن دراسة الأخلاق تكسب صاحبها القدرة على الدقة في تقدير الأعمال الخيرية وحتى نقدها، ولكن هذا لا يعني أن دراسة الأخلاق تجعل جميع الناس فضلاء وإنما يتعلق الأمر بمدى الاستعداد والميل الشخصي لكل فرد من الأفراد، كما هو الحال بالنسبة للمتصوفة فدراسة التصوف وحده لا تجعل من صاحبها متصوفا، فالأمر يحتاج إلى مدى استعداد الفرد لهذا الأمر كما يقول أرسطو: " أن تشد عزم بعض فتيان كرام على الثبات في الخير وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقا للفضيلة وفيا لعهدها" .[1]

إن الاخلاق يلعب دورا مهما في حياة الإنسان سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لأنه بطبيعته ملتصق بحياة الناس أشد التصاق لأنه يقوم بالبحث في السلوك الإنساني ويقوم بالحكم على أعماله إما بالخير أو بالشر.

ورغم تضارب الآراء حول أهمية هذا العلم في حياة الإنسان، بين من يعتبره أنه علم معياري وهذا الطرح أقر به المذهب المثالي على أكد أنه " يجب على علم الأخلاق أن يضع قواعد أخلاقية للحياة الإنسانية (.....) فمهمة الفلسفة الخلقية هي وضع مثل إنساني أعلى للسلوك الخلقي يتبعه الناس في كل زمان وفي كل مكان باعتبارهم موجودات عاقلة " [2]

أما الاتجاه الثاني وهو الوضعي الذي يؤكد أن مهمة هذا العلم، هو تقرير الوقائع الأخلاقية وتوضيحها فحسب رأيهم أن، وجود قواعد أخلاقية ملزمة يرجع تاريخيا الى الاعتقاد بوجود الع أو آلهة وما يتعلق بذلك من ارتباط هذه العقيدة بوصايا إلهية " .[3]

---

[1]– أرسطو، الأخلاق، تر أحمد لطفي السيد، ج 2 ص 366، نقلا عن (الأخلاق لاحمد أمين)، بيروت،دط، 1993، ص16.

[2]– توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، (ط 2)، 1959، ص، 2.

[3]– محمد حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص، 24.

فالوضعية المنطقية لا تعترف بوجود قواعد أخلاقية، ولا توجد أخلاق معيارية فالقيم بالنسبة اليهم هي عبارة عن أمور واقعية فهي مواقف معينة تحدث للإنسان

- **المطلب الثالث : تعريف فلسفة الأخلاق:**

إن مصطلح" **الفلسفة** " لوحده يشير الى بيان العلوم النظرية التي تبين خصائص الوجود بالأسلوب العقلي وأما عن مصطلح" الأخلاق " فإنه يحكي الصفات الفاضلة والمذمومة في الإنسان، وكذلك العلم الذي يتكلم عن الصفات والسلوكيات القبيحة والحسنة.[1]

لكن ما معنى فلسفة الأخلاق؟ وما هو المراد والغاية من هذا المصطلح التركيبي " فلسفة الأخلاق " ؟

إن فلسفة الأخلاق ليست أخلاقا، بمعنى انها لا تمثل بمجموعة قواعد سلوكية خاصة، وإنما هي إطار نظري واقع خلف الأخلاق (ميتا أخلاق)، فهي نظرية عقلية عن الخير والشر والقيم والسلوك الأخلاقي، تفكك قواعد الأخلاق وتحلل بناها، وتقدم رؤية متكاملة عن الأخلاق.

أما (الإتيقا) فهي التسليم بجملة من المبادئ أو الأوامر المحددة لكيفية التعامل بين الأفراد وحسن تدبير شؤون الحياة وهي أساسا وضع قواعد الأفعال والإتيقا هي تسيير الأنا وتطرح سؤال: كيف نعيش؟

هذا يعني أن فلسفة الأخلاق تشير الى دراسة علو الأخلاق من خارجه لتحديد هويته وغاياته وأهدافه وسبل تطويره وإيضاح مقولاته، والدفاع عنها وبصيغة أخرى: إن اصطلاح فلسفة الأخلاق يراد به تلك الممارسة الفكرية، والعقلية التي تتكفل بإبراز المعايير العقلية والتي يحدد الإنسان في ضوئها سلوكه الأخلاقي، وايضاح مقولات الخير والشر والحسن والقبيح التي تكون

1_قلامين صباح: محاضرات في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق ، ص 13 .

تلك المعايير مختفية خلف الأحكام العملية الأخلاقية التي يسير عليها الناس ويمدحون فاعلها، وتشكل مبررا لها.ومن ثم فالبحث في الفلسفة الخلقية بحث فلسفي سابق للبحث في علم الأخلاق.[1]

ولأجل هذا، نفرق بين حقلي علم الأخلاق وفلسفة الأخلاق، فمن جهة أولى تعتمد فلسفة الأخلاق العقل كأداة للبحث والتحليل والاستدلال، فيما يمكن لعلم الأخلاق أن يعتمد أدوات ومصادر متعددة كالعقل والنص الديني و تواضعات الناس واتفاقاتهم وسائر نتائج البحوث الإنسانية.ومن جهة أخرى فإن فلسفة الأخلاق لا تتكفل البحث في تفاصيل المسائل الأخلاقية، خلافا لعلم الأخلاق فإنه يقدم الفتاوى الأخلاقية وما ينبغي فعله من تفاصيل المواقف العملية والسلوكية.

إن علم الأخلاق يقدم لنا جدولا من الأفعال والصفات الحسنة والقبيحة، إلا أنه لا يأخذ على عاتقه بالضرورة لزوم الدفاع العقلاني عن جداوله، ولو كان هذا الأمر لزاما فلابد من الذهاب إلى علم آخر وطلب الإعانة منه.

إن علم الأخلاق يبحث عن أصوله ومعانيه بالاصطلاح عن مبادئ علم الأخلاق وبناء عليه فإن العلم الذي يبحث عن مبادئ علم آخر يسمى فلسفة ذلك العلم ولذا يسمى الذي نبحث عنه بفلسفة الأخلاق.[2]

فقد حضي هذا الأخير_ فلسفة الأخلاق _ عبر العصور باهتمام خاص من قبل الفلاسفة، فمنهم من وضع لها تعريف ومنهم من فسرها، وكما قام بوضع أسس وقواعد لأهم القيم الأخلاقية، التي تساعد الأفراد على العيش بسعادة ورضا في المجتمع الذي ينتمون إليه.

إن كان كثير من فلاسفة الأخلاق تصوروا الأخلاق بصورة علم معياري يحدد السلوك الفاضل وما ينبغي أن يكون، فيجب إضافة فلسفة علمية تفتح أمام الإنسان ملكوت القيم، وأن

[1] –محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، مطبعة الأزهر، دار القلم، (د ط)، 1943، ص45.

[2]– مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص21.

الحياة الخلقية تفرض على الموجود البشري المشاركة في ميلاد الحياة، والتقبل لكل ما له دلالة والتفتح لكل ما ينطوي على قيمة.[1]

إذ تحمل فلسفة الأخلاق معيار السلوك الصالح للفرد وبالتالي للمجتمع على حد سواء، وأن مصدر هذه الأخلاق من وعي الفرد وضميره.

فنجد أن علم الاخلاق في الأساس يعني بالبحث عن فلسفة الأخلاق، وعليه فإن فلسفة الأخلاق هي تحقيق فلسفي (عقلي) حول المبادئ التصورية والتصديقية لعلم الأخلاق أي أنه يبحث في هذا العلم من وجه طرف ما حول المفاهيم "الحسن"، "القبيح"، "يحب" و "لا يحب" التي يستفاد منها في التعابير الأخلاقية.

هذا يعني أن الأخلاق تعرف باسم الفلسفة الأخلاقية، والتي تسعى للإجابة عن الأسئلة التي تتناول المفاهيم الأخلاقية لدى البشر مثل الخير والشر، والصواب والخطأ والفضيلة والرذيلة والعدالة والجريمة.[2]

يعتبر ابن مسكويه اول فيلسوف إسلامي تطرق الى الأخلاق، وحول تأسيسه لهذا الموضوع كان لزاما علينا البحث و معرفة أهم المصادر التي ارتكز عليها في بناء فلسفته الخلقية، والتي نجدها تجمع بين مصدرين أساسين وهما الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية .

المبحث الثاني: مصادر ابن مسكويه الأخلاقية ومنهجه

المطلب الأول : مصدره من الفلسفة اليونانية

لقد تأثر ابن مسكويه بالفلسفة اليونانية وبمذاهبها المختلفة، وخاصة المشائية المشخصة وتأثر بسقراط وأفلاطون وأرسطو، وهذا ما تكشفه عنه كتاباته الأخلاقية والتي توزعت في عدة أعمال سنذكرها لاحقا.

[1] – قلامين صباح: محاضرات في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص: 33.

[2]– المرجع نفسه، ص، 35.

فحسب دي بور فإن العديد من كتب التراجم التي ترجمت لمسكويه قائلا: " وقد خلف ابن مسكويه فيما خلف مذهبا فلسفيا في الأخلاق لايزال له شأن في الشرق الى يومنا هذا وهو مزيج من أراء أفلاطون وأرسطو وجالينوس ومن أحكام الشريعة الإسلامية غير أن نزعة ارسطو غالبة عليه".[1]

لقد ألف ابن مسكويه كتابه " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق " وهو كتاب مشهور بحث فيه بحثا علميا وحاول أن يمزج فيه تعاليم أفلاطون وارسطو بتعاليم الإسلام، ويشرح فيه هدفه من الاهتمام بالأخلاق مشيرا الى ضرورة تقويم الخلق على أساس فلسفي سليم، حتى تصدر الأفعال عن النفس الجميلة.[2]

ولما كان الخلق صادر عن النفس، فقد لزم معرفة خصائصها وهنا يشير الى قوة النفس كما يقول أفلاطون وما يتصل بها من فضائل وما يقابلها من رذائل، فقد وحد بين الخير الأسمى والسعادة القصوى كما أشار أفلاطون، فابن مسكويه يربط بين السعادة والفضيلة كما يهتم بالفضائل الخلقية لصلتها بالعمل دون الفضائل النظرية المتعلقة و بالعقل التجريدي.[3]

فإذا كان يستسقي من الفضائل الأربعة لأفلاطون فإنه يعود الى نظرية أرسطو بالوسط العدل فهذا الوسط لا يبلغه الانسان الا بالفهم والعقل وليست الفضائل طبيعية وإنما مكتسبة وهنا نجد ابن مسكويه يجمع بين أفلاطون وأرسطو.[3]

وفي هذا يقول ناجي التريكي: " لا شك أن مسكويه اقرب الى أرسطو في كليات فلسفته إلا أنه يقترب كثيرا من فلسفة أفلاطون، إذ لا بد أنه درس وقرأ كتب أفلاطون الأخلاقية والسياسية وهضمها جيدا، فهو عندما يستشهد بأفلاطون يشير الى كتبه بالذات ككتاب طيماوس أو النواميس

[1] – دي بور: تاريخ فلاسفة الإسلام، تر محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط ص 249 .

[2] – محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، مرجع السابق، ص ، 106.

3– ناجي التكريتي: فلسفة الاخلاق بين ارسطو ومسكويه، دار دجلة، (د ط)، عمان، 2012، ص، 343.

[3]– ناجي التكريتي، فلسفة الاخلاق بين ارسطو ومسكويه، مرجع السابق، ص ،335.

بالإضافة الى الكتب الأخرى.....كالجمهورية وفيدون وغيرهما.فعندما ينصح مسكويه على اتباع فضيلة ما مثلا، فهو يشير إلى أفلاطون: وقال أفلاطون من التمس أمرا لا بد له من الوصول اليه صبر على الطريق وما يلحقه فيه من صعوبة ومشقة " [1]

ففي نظرية السعادة لابن مسكويه التي يجعل منها الغاية القصوى وهو هنا تابع للمعلم الأول، ويبدو ذلك بارزا حين يفرق بين الخير والسعادة حيث يقول: " نبدأ بمعرفة الله تعالى بذكر الفرق بين الخير والسعادة، بعد أن نذكر ألفاظ أرسطو طاليس اقتداء به وتوفيه لحقه".[2]

ويلاحظ المفكر محمد أركون " أن أرسطو ينتمي الى خانة المصادر المهيمنة على ابن مسكويه".[3]

فابن مسكويه يدل بدلوه حول إشكالية علاقة السعادة القصوى بالخرات الجزئية فهو يوافق أرسطو من جهة ومن جهة أخرى لا يقر راي القائلين بأنها لا ترتبط مطلقا بغيرها من السعادات وأنها قائمة بنفسها لا تحتاج في تمامها الى غيرها من سعادات البدن والأمور الخارجية التي يصح أن تمهد لها، ويذكرهم بالإسم وهم: فيثاغورث وبقراط وأفلاطون " [4]

أما عن مذهب اللذة فقد انتقدها ابن مسكويه بشدة الذين اتخذوها مثلهم الأعلى في حين تأثر بأرسطو الذي صرح بأن اللذة ليست هي الخير الأعلى وتأثر أيضا بجالينوس الذي نقد القائلين باللذة.

أما عن تقسيم السعادة فابن مسكويه يقسمها مثل أرسطو فيقول: وأما أقسام السعادة على مهب الحكيم فهي خمسة أقسام:

---

[1]– ناجي التكريتي، فلسفة الاخلاق بين ارسطو ومسكويه، مرجع السابق، ص 335.

[2]– المرجع نفسه، ص، 344.

[3]– محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، دار الساقي، ط1، بيروت، 1997، ص 112.

[4]– ناجي التكريتي، مرجع السابق، ص 335.

الأولى في الصحة والبدن، والثانية في الثروة والاعوان، والثالثة أن تحسن أحدوثته في الناس، أما الرابعة أن يكون منجحا في الأمور، والخامسة ان يكون جيد الرأي فمن اجتمعت له هذه الأقسام فهو السعيد الكامل، على مذهب هذا الرجل الفاضل

بعد هذا يعطي تقسيمه الخاص على النحو التالي:

1_ سعادة الابدان والتي تتعلق بالأشياء الحسية

2_ سعادة الأرواح الطيبة المستغنية عن الابدان: وه التي لا تحتاج الى السعادات البدنية سوى سعادة النفس فقط.

3_ سعادة الابدان والأرواح معا: والتي لا تكون الا بتحصيل الحالتين معا [1]

وهنا نلمس التأثير الواضح لابن مسكويه بأرسطو.

كما نجد ابن مسكويه أيضا متأثر بأرسطو في تقسيمه للفضائل الى فضائل نظرية وفضائل عملية أخلاقية بناء على تقسيم النفس الناطقة أو العقل الى عقل نظري وعقل عملي، أما تأثره بأفلاطون فكان في الفضائل الخلقية وفي تقسيم قوى النفس التي حددها في ثلاثة أقسام:

القوة الأولى وهي القوة الناطقة، ويقصد بها القوة التي يكون بها الفكر والتمييز، والنظر في حقائق الأمور ويسميها مسكويه الملكة وآلتها الدماغ.[2]

والقوة الثانية وهي القوة الغضبية ويقصد بها القوة التي يكون بها الغضب والجدة والاقدام ويسميها السبعية وآلتها الاقدام.

والقوة الثالثة هي القوة الشهوانية ويقصد بها القوة التي يكون بها الشهوة وطلب الغذاء ويسميها مسكويه البهيمة وآلتها الكبد.[1]

[1] – محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الاخلاق، المرجع السابق، ص 96.

[2] – ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو و مسكويه، مرجع سابق، ص70.

إن هذه التقسيمات استوحاها ابن مسكويه من أفلاطون حتى أنه أضاف اليها نفس الفضائل حيث نجده يحدد فضيلة كل قوة من قوى النفس، ففضيلة النفس العاقلة هي الحكمة، وفضيلة النفس الغضبية هي الشجاعة أما فضيلة النفس الغضبية في العفة.[2]

نستطيع أن نقول ان ابن مسكويه قد استفاد كثيرا في فلسفته الأخلاقية من المصادر اليونانية وهذا ما يوضح لنا تأثيره الكبير بالفكر اليوناني وبأرسطو وأفلاطون خاصة ولن هذا لا يعني أنه لم يستفد من الثقافة الإسلامية باعتباره نشأ في بيئة متشبعة بالإسلام هذا ما يوحي لنا انه قد استفاد أيضا من العنصر الإسلامي.

فإذا كان الكندي تلميذا لليونانيين في الطبيعة وهو فيلسوف اول في العرب في هذا الباب، وإذا كان الفارابي تلميذهم في المنطق وهو الملقب بالمعلم الثاني، فإن ابن مسكويه يعد ولأول مرة في زمانه في التراث الإسلامي، تلميذ اليونانيين في ميدان الأخلاق وهو بذلك يعتبر المعلم الثالث.

المطلب الثاني :مصدره من الفلسفة الإسلامية:

المعروف على ابن مسكويه انه ابن العراق والمعروف الحكمة وجدت فيها، ففكرة العدل مثلا قد عرفها العراقيون وكتبوها في شرائعهم المتعاقبة التي ابرزها وأكثرها تكاملا هي شريعة حمورابي، فالعراقيين مارسوا فضيلة العدل عمليا من حي إقامة المجالس الشعبية او ما يعرف الان بالمجالس النيابية اما على المستوى النظري فقد دونو القوانين لتنسجم مع الحاكم والجمهور.[3]

لقد كان ابن مسكويه مقيما ببغداد، وفي خدمة الوزير المهبلي وكان ضمن حاشيته التي اختصت مجالسه بالشعراء والادباء والعلماء، وهو ما يدل على نبوغه الفكري وكفايته العلمية كما انتقل بعد ذلك الى خدمة ابن العميد وزير ركن الدولة البويهي الذي اعجب ابن مسكويه

---

[1]– محمد يوسف موسى: مبتحث في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص 70.

[2] – المرجع نفسه، ص 71.

[3]– علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية والالهية دراسة ونقد، الدار الإسلامية، (ط 1)، المنصورة، 1431هـ، 2010، ص29.

بشخصيته، والذي كان نابغا في علوم الفلسفة على نحو فاق بها اهل زمانه ونظرا لهذه العلاقة فقد جعل ابن مسكويه له من الديباجة في صدر كتابه " السعادة او ترتيب السعادات "

يقول فيها: "أن يسمو الى ما سمى له الأستاذ _ أعانه الله على درك الحق وسهل اليه سبيل المطالب حتى نرتقي من درج الحكمة الى أعلاها ذروة وتظفر بأحلاها ثمرة".[1]

ويقول أيضا: "ولم ازل منذ رأيت تشوقه للعلوم وانطباعه بطابع الحكمة اجاريه الشيء بعد الشيء مما يستدعيه منها على قدر الوقت وبحسب الحال".[2]

" كما كان كتابه " العوامل والشوامل " عبارة عن جواز فكري بينه وبين أبو حيان التوحيدي، كما أثر فيه يحي بن عدي تأثيرا مباشرا في كتابه " تهذيب الاخلاق " الذي اقتبسه منه والذي كان له نفس العنوان.

أما الفلاسفة المسلمون الذين سبقوه فقد اطلع ابن مسكويه على فلسفاتهم واستفاد منها كثيرا من حكمهم الأخلاقية واستعمالها في كتابه تهذيب الاخلاق".[3]

كما نجده قد تأثر أيضا بفلسفة الكندي فقد قرا جميع كتبه واستفاد منها واستوعبها وأفاد منها خاصة في كتابه " دفع الاحزان ".

فالمعروف على ابن مسكويه انه لا يستخدم رايا فلسفيا الا بعد ان يخضعه للفكر الإسلامي فهو يستشهد بآيات من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة. فالقرآن الكريم كتاب كامل في الاخلاق فهو يدعو الى الفضيلة ويحذر من الشر ويحث على طلب العلم والمعرفة ويشيد بالعلماء والعاملين في سبيل العلم في الوقت نفسه.

[1]– ابن مسكويه: السعادة في فلسفة الأخلاق، المدرسة الصناعية الإلزامية، القاهرة، 1335هـ، 1917م، ص،46.

[2]– المصدر نفسه، ص ،46.

[3]– علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية والالهية دراسة ونقد، مرجع سابق، ص ، 30.

كما انه يحث على عمل الخير ويوصي به كما يدوا أيضا الى إقامة العدل بين الناس، فابن مسكويه أخذ من الشريعة الإسلامية لما رأى فيها من التكامل في القيم الأخلاقية، فهو دائما يستشهد بها في فلسفته الأخلاقية فرغم أنه اخذ من الفكر اليوناني وتشبع منه إلا أنه لا يستطيع التخلي عما جاء في القران والسنة فكتابه " تهذيب الاخلاق " وهو زاخر بالقيم والأخلاق القرآنية.[1]

كما نجد أيضا أن ابن مسكويه قد عاصر بعض الشخصيات الفكرية ساهمت الى حد كبير في تكوينه المعرفي والعلمي، وكانت بذلك أهم محركات حياته الفكرية بصفة عامة سواء أكان هذا التفاعل نتيجة للزمالة أو الخصومة نذكر منهم:

من الوزراء: الصاحب ابن عباد، المهبلي، ابن العميد، الخوارزمي

من المؤرخين: أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني

من المهندسين والرياضيين نجد: أبو الوفاء، محمد بن محمد بن يحي البوز نجاتي.

فقد تأثر ابن مسكويه كثيرا ببعض الشخصيات، فقد قرأ كثيرا كتب الجاحظ كما كان مفتونا بمحمد بن زكريا الرازي وجابر بن حيان هذا بالإضافة الى أنه درس تاريخ الطبري كما درس العلوم اليونانية على يد الخمار[2].

وفيما يلي سنبرز أهم كتب الأخلاق التي تبرز لنا بوضوح تأثيره ببعض المفكرين الإسلام الذين عاصرهم:

- كتاب الفوز الأصغر: والذي كان يحتوي على رسالتين لابن المقفع قد دمجهما تحت عنوان " الأدب الصغير والادب الكبير "، كما أنهما يمثلان صدى للتعبير القرآني بالإضافة إلى

[1]– علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية والالهية دراسة ونقد، مرجع سابق، ص، ص 28.

[2] – حمزة سليماني، عبد المنان ملا معمور بار: الخلق منظور تربوي نفسي عند مسكويه والغزالي، مجلة جامعة ام القرى، العدد11، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1995، ص ، 24.

أن العنوان يتماشى تماما مع مضمون الكتاب والذي يعالج ثلاثة مسائل (الله، النفس، النبي) وتضع الإنسان حقا على طريق الفوز.

- كتاب الهوامل والشوامل: التي كان عبارة عن أسئلة التوحيدي وأجوبة ابن مسكويه فالتوحيدي كان يطرح الأسئلة ولا يبالي بالأجوبة (من هنا جاء اسم الهوامل)، أما مسكويه فعلى العكس قد حرص على تقديم كل الأجوبة للأسئلة المطروحة من قبل مراسله أي التوحيدي.[1]
- أما كتاب ترتيب السعادات ومنازل العلوم أو الرسالة المسعدة: فقد ذكر هذا الكتاب مرتين في تهذيب الأخلاق، أما العنوان الكامل فقد ورد في كتاب (صوان الحكمة) لمؤلفه أبو سليمان المنطقي السجستاني.
- رسالة في ماهية العدل فكان عنوانها الأصلي (رسالة الشيخ ابي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه الى علي بن محمد ابي حيان الصوفي في ماهية العدل) وهذا العنوان هو في جواب لسؤال علي بن محمد ابي حيان التوحيدي الصوفي في حقيقة العدل.
- كتاب الحكمة الخالدة فهو ليس الا ترجمة للكتاب الفارسي " جاويدان أو جاودان خرد".
- كتاب أحوال الحكماء وصفات الأنبياء السلف: فقد تعرض ابن مسكويه في هذا الكتاب، للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليدفع عن نفسه تهمة عدم احترامه للسنة التي وجهها اليه العلامة " كرادي فوه " في كتابه عن المفكرين الإسلاميين.[2]
- كتاب الجامع: وهو عبارة عن كتاب في الطب، فابن مسكويه درس الرازي وأكب على كتبه ثم كتب هذا الكتاب في ضوء اجتهاده بعد تلك الدراسة.
- أما عن كتاب مختصر النبض فقد كتبه ابن مسكويه لعضد الدولة البويهي [3]

[1]– ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، منشورات الجمل، ط1، بغداد، بيروت، 2011م، ص ،38.

[2]– ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص 38.

[3] – المصدر نفسه، ص، 50.

إن هذه الكتب التي أوردنا ذكرها، توضح لنا جليا التأثير الكبير لابن مسكويه بشخصيات إسلامية، قد تراوح تأثيره بين الرد على الخصوم، أو تفنيدا لبعض الآراء المسندة إليه وفي كل هذا يظهر لنا جليا المصدر الإسلامي في فكر مسكويه الأخلاقي.

وهكذا يمكننا القول أن ابن مسكويه قد تأثر فكره الفلسفي بمصدرين أساسين وهما الثقافة اليونانية باعتبارها مهد للفكر الفلسفي الإنساني بصفة عامة، وبالشريعة الإسلامية والبيئة الإسلامية التي اعتبرت منشأه الفكري، الذي تربى وترعرع فيها، فأخذ واستسقى منها أفكاره الفلسفية وذلك تماشيا مع ما جاء به القرآن والسنة النبوية الشريفة.

إذن يمكن القول أن فلسفة ابن مسكويه من حيث المصدر هي مزيج بين الدين الإسلامي وبين العقل الفلسفي اليوناني.

المطلب الثالث : منهج ابن مسكويه

لقد أوضح ابن مسكويه منهجه بصفة عامة في عبارة مختصرة قال فيها: " إن السعيد هومن أنفق له في صباه أن يانس بالشريعة ويستسلم لها ويدعو جميع ما تامر به حتى اذا بلغ المبلغ الذي يمكنه ان يعرف الأسباب والعلل طالع الحكمة فوجد مواقفه لما تقدمت عادته به فاستحكم رايه وقويت بصيرته ونفذت عزيمته".[1]

إن ما يميز ابن مسكويه هو أنه لم يكن تفكيره نظريا مجردا، بل اتسم في اغلبه بنزعة عملية فبالإضافة الى محاولته وضع مذهب أخلاقي نظري حاول رسم الطريق الذي يؤدي بالإنسان الى اكتساب الفضائل الأخلاقية والتخلص من الرذائل، كما آمن ابن مسكويه أيضا بان صناعة الاخلاق لا تراد لذاتها، ولكن المقصود و العمل بها وتطبيقها فلا يكفي في الفضيلة ان نعلم بها فقط بل ينبغي ممارستها أيضا فلو كانت المعرفة النظرية تكفي لتغيير الخلق نحو الأفضل لكانت المطلب الأساسي لكل الناس.

[1]– ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص، 2.

كما نجده أيضا يؤمن بإمكانية تغيير الاخلاق وتهذيبها، ومن ثم حاول ان يضع منهجا يوصله الى مبتغاه مع إدراكه التام ان دراسة الاخلاق لا يجب ان تقف عند حدود النظريات بل ينبغي ان تتسم بالنزعة العملية وان يكون علم الاخلاق صناعة تستهدف علاج النفس وحفظ صحتها.

كما نجد ابن مسكويه قد استخدم الأسلوب الفلسفي في كتاباته الأخلاقية الا انها لا تخلو من روح الدين الإسلامي الذي يسكن فيه، بمعنى انه مزج المنهج الفلسفي بالشريعة الإسلامية فقد ركز على الأمثلة الشارحة المستمدة من الدين الإسلامي ومن حكم ومواعظ الأمم السابقة وأضاف الى كل هذا تجاربه الشخصية.[1]

كما كان الاغلب في أسلوبه الطابع التوفيقي فهو يختار بين المذاهب ويحاول التوفيق والمزج فيأخذ من أرسطو وأفلاطون ويمزج الآراء بالشرع وتعاليمه.

يقول حسن منيمنة: "ارتبط مسكويه المؤرخ بكونه فيلسوفا أخلاقيا وما زاد من عملية الربط وتغليب الصفة الثانية على الأولى ليس فقط كثرة مؤلفاته الفلسفية والأخلاقية وشهرته في هذا المجال، بل في انه جعل هدف كتاباته التاريخية أخلاقيا وتعليميا كما اعلن هو نفسه في مقدمته لكتاب." تجارب الأمم ".[2]

لقد طرح ابن مسكويه موضوعا صعبا هو موضوع الأخلاق، وقد وفق في بحثه لأنه عرف كيف يتخلص من العناصر الشرقية التي تفسد التفكير الأخلاقي المنسجم وتحترم الانسان ككائن عاقل، له إرادة حرة يعيش في وسط اجتماعي يعمل لدنياه قبل آخرته، فعرف كيف يضفي لمسته الخاصة على هذا البعد الأخلاقي.

فالتفكير الذي سبق ابن مسكويه زمانيا قد تعرض لمواضيع أخرى غير الأخلاق، هي مواضيع بسيطة وغير معقدة كالرياضيات والطبيعيات عند الكندي، والإلهيات والمنطق عند

[1]– محمد محمود صبحي: فلسفة الأخلاق في الإسلام، دار النهضة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1992، ص، 310.

[2]– محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص ،57.

الفارابي....فهذه القضايا تحمل حقائق خالدة، بينما الأخلاق تتأثر بالزمان والمكان وبعناصر مختلفة، لكن ابن مسكويه أضفى عليها البعد الإنساني بعد أن خلصها من العناصر الخاصة، وجعلها تخضع لمنطق العقل. فعرف بذلك طبيعة الموضوع الذي يعالجه من خلال كل نواحيه المتشعبة، بحيث أصبح منهجه الأخلاقي في نهاية الأمر منسجما في أصوله ونتاجه، فمثلا يتجه ابن مسكويه للبحث في أمراض النفس الخلقية من أجل ترويضها، حتى تصل الى لذة لا تصل اليها بلذات المال والبدن.[1]

" ففلسفة ابن مسكويه الخلقية مزيج متقن السبك متناسب الأجزاء من الفلسفة اليونانية حسب تعاليم أرسطو لا سيما ما كان منها خاصا بعلم النفس والأخلاق ومن الآداب الفلسفية الإسلامية التي بها رائحة من التصوف العقلي والديني ومن حكمة الحياة والآداب العامة والخاصة " .[2]

[1]– ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص،50.

[2]– محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د ط)، ص، 315.

➢ **خلاصة:**

إن ما يمكن أن نصل إليه من كل ما سبق ذكره، أن الأخلاق مهمة في حياة الفرد، وهو وسيلة لبيان المعنى الحق من الباطل وما لابد أن يعمله الإنسان لتحقيق الخير ولتجنب الشر، وقد كان ابن مسكويه منهج ومذهب في الأخلاق مهما تأثر بأرسطو وبالفلسفة اليونانية إلا أنه قد أخذ أيضا من ظلال شعائر الإسلام، وبالتالي نجده قد جمع بين المصدرين اليوناني والإسلامي التي ساهت بشكل كبير في تكوينه الفكري، ما جعله يأخذ الطابع التوفيقي بين الفلسفة والدين.

الفصل الثاني

- **الفصل الثاني: مباحث الاخلاق عند ابن مسكويه.**
- **المبحث الأول: قوى النفس ومراتب الفضيلة.**
  - **المطلب الأول: قوى النفس الثلاث.**
  - **المطلب الثاني: مراتب الفضيلة**
- **المبحث الثاني: العدل والسعادة الإنسانية.**
  - **المطلب الأول: العدل والعدالة.**
  - **المطلب الثاني: السعادة وانواعها.**

تمهيد:

يتميز الفكر الأخلاقي لإبن مسكويه باعتماده على المنهج الأخلاقي الإسلامي الذي يركز على القيم الإسلامية الأساسية، ويؤكد على أهمية الأخلاق في حياة الإنسان وفي بناء مجتمع سليم، فقد اعتمد في فكره الأخلاقي على دراسته لنفس الإنسان وعلاقتها بالجسد والتي يترتب عليها مجموعة من الفضائل تميزه عن غيره من الكائنات الأخرى، وبدورها تصل بالإنسان الى السعادة القصوى التي هي الغاية المنشودة للإنسان.

فلكي نتعرف على فكره الأخلاقي يجب أن نتعرف أولا على أبرز تصورات النفس وقواها، وكيف يمكن لإنسان تحصيل السعادة؟ ولما كانت العدالة من أرقى الفضائل التي يسعى اليها الإنسان أو يسعى الإنسان الى تحصيلها فكيف نظر ابن مسكويه اليها وما هي سبل تحقيقها والوصول اليها؟

➢ المبحث الأول: قوى النفس ومراتب الفضيلة.

➢ المطلب الأول: قوى النفس الثلاث.

إن النفس هي الركينة التي تبنى عليها فلسفة الأخلاق، فقد اهتم بها مسكويه[1] وبني عليه فلسفته الأخلاقية، إذ أنه لا يستغني عن رده لكل رأي فلسفي إلا ويرده الى مصدره الأول وهو القرءان الكريم والحديث الشريف، فقد قال تعالى " **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها...**".[2]

- يرى مسكويه ان النفس هي الغرض الذي يعدل النفس البشرية فيقول: " فإن النفس وإن كانت تأخذ كثيرا من مبادئ العلوم عن الحواس لها من نفسها مبادئ أخرى لا تأخذها عن الحواس البتة وهي المبادئ الشريفة العالية التي تبنى عليها القياسات الصحيحة..." [3]
- وهنا يهدف مسكويه أن تحمل لأنفسنا خلقا تصدر به الأفعال الخيرة الجميلة التي بدون تكلفة ولا مشقة

" فقد أثبت مسكويه وجود النفس وماهيتها وكيف تدرك الأشياء وتفرق بين الإدراك والحواس الذي يشاركنا فيه الحيوان وبين الإدراك العقلي الذي يختص به الإنسان دون غيره " [4]

- أي أن النفس [حسب مسكويه] تدرك ما يدور حولها ونفرق بين المعقول والمحسوس

---

[1] ابن مسكويه: أحمد بن يعقوب، أبو علي الملقب مسكويه، هو فيلسوف ومؤرخ وشاعر فارسي من أبناء مدينة الري، في ايران الحالية، كان ناشطا في الميدان السياسي زمن الدولة البوهية، يعتبر مسكويه أول علماء المسلمين الذين كتبوا في علم الأخلاق بمفهومه العلمي والفلسفي وذلك من خلال كتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق.

أنضر 08/02/2018 على 10: http: //ar.m.wikipidia.org15

[2] سورة الشمس الآية6-10.

[3] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، (ط 1)، بيروت لبنان، 1985، ص07.

[4] كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، دار الكتب العلمية، (ط 1)، بيروت لبنان، 1993م، ص17.

- مسكويه أسس فلسفة الاخلاق بناء على النفس وملكاتها وقواها " النفس عند مسكويه ليست بجسم ولا جزء منه، ولا عرضي، بل هي جوهر بسيط غير محسوس، بشيء من الحواس أنها لا تستحيل ولا تتغير، كما يستحيل ويتغير الجسم، إذن جوهر مغاير لجوهر الإنسان " [1]

وهذا يعني أن النفس لا يمكن أن تكون في مرتبة واحدة مع الجسم وهذا ما يتضح من خلال قول أفلاطون: " إن النفس ليست بجسم، وإنما هي جوهر بسيط محرك للبدن " [2]

يعني ان النفس ليست بجسم ولا جزء من الجسم.

- كما نجد قول آرسطو حول النفس: " إن النفس لا يمكن أن تفعل أو تنفعل بغير جسم، الغضب والرغبة وحتى الفكر لا يمكن أن تكون بغير جسم " [3]
- إن دلت هذه التعاريف على شيء فإنما تدل على تأثر ابن مسكويه بفلاسفة اليونان وهذا ما رآه ناجي التكريتي في قوله: " إن معظم فلاسفة الإسلام أقاموا دراساتهم في الأخلاق على نظرياتهم في النفس..." [4]

فالنفس في اللغة اليونانية اللفظ المقابل هو psyche ويعني النفس ثم أصبح معناه الروح...ويقال ان هذا اللفظ psyche لم يطلق إلا على الأرواح المتوفين.[5]

وهذا ما يدل على تميز النفس وارتباطها بالإنسان ارتباطا وثيقا إلا أنها أعلى من الأمور الجسمانية.

[1] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق ص36.

[2] أنظر: جميل صليبا، االمعجم الفلسفي، ج1، (مادة النفس)، دار الكتاب اللبناني، (د ط)، بيروت لبنان، 1982، ص481.

[3] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص37.

[4] ناجي التكريتي: الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الإسلام، دار الاندلس، (ط 2) بيروت، 1982م، ص344.

[5] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة النفس، دار قباء الحديثة للطباعة للنشر والتوزيع، (ط 2)، القاهرة، 2007، ص649.

وأحسن مثال على ذلك قوله تعالى: " **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** [1] ".

كما يضيف مسكويه تعريف آخر للنفس وذلك بقوله " بأنها ليست صورة هيولانية*...فالنفس ليس فيها شيء من الرداءة فالنفس ليس لها فساد ".[2]

- فالمقصود من هذا القول ان النفس غير ثابتة فهي متغيرة وزائلة ويقول ابن مسكويه " إن الكلام على النفس وتحقيق ماهيتها وقسطها من الوجود وبقاءها بعد مفارقتها البدن أمر مستصعب غامض، ولكن أقول لما كان طريقنا الى المعاد معلقا بإثبات النفس وأنها ليست بجسم ولا عرض ولا مزاج بل جوهر قائم بنفسه وذاته غير قابل للموت..." [3]

وهذا يعني أن الجسم لا يقبل صورتين في جنس واحد إلا بعد تخلصه من الصورة الأولى، وما يؤكد أن النفس جوهر مستقل عن الجسم ذلك ان الإنسان لا يحس بالزمن بعد موته وذلك لقوله تعالى " **فأماته الله مائة عام ثم بعثه○ قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم○ قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك...**".[4]

إن النفس بطبيعتها واحدة في نظر مسكويه إلا أنها متعددة القوى والميول والاتجاهات

- وبما ان فلاسفة اليونان كان لهم أثر كبير في فلسفة مسكويه، فإن هذا الأخير أخذ أفكاره منهم،" حيث أن أفلاطون يؤمن بأن البدن ثلاثة أنواع الواحد كل منها مستقل عن الآخرين وهي النفس الشهوانية، النفس الغضبية والنفس العاقلة، وهذا الانقسام لديه ليس مجازيا فإنه

---

[1] سورة الزمر، الأية 42.

[2] هيولانية*: هيولي.لفظ يوناني بمعنى الاصل و المادة، وفي الإصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الإتصال و الإنفصال، محل الصورتين الجسمية والنوعية.

أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، مادة الهيولة، ص536.

[3] ابن مسكويه: الفوز الأصغر، طبع على نفقة مصطفى فهمي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، 1325هـ، ص27.

[4] سورة البقرة، الآية259.

كان يعتقد أن كل نفس من هذه النفوس تحل من جزء خاص من الجسم فهي مستقلة حقيقة وقائمة بذاتها على الرغم مما عسى أن يكون فيها من صلات " [1]

- يتضح لنا أن أفلاطون عزل النفوس الأولى والثانية عن بعضها بشرط ان الثالثة هي الرابطة بينهما، فإذا كانت النفس العاقلة تتميز بخاصية الألوهية فهي ازلية خالدة على عكس الغضبية والشهوانية.

إذ نجد أن مسكويه يقسم النفس الى ثلاث قوى بقوله: " وقد تبين للناظر في أمر هذه النفس وقواها أنها تنقسم الى ثلاثة، أعني القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور، والقوة التي بها يكون الغضب والنجدة والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكح وضرب اللذات الحسية..." [2]

فقوى النفس حسب مسكويه تنقسم الى ثلاث قوى تتحدد مع بعضها

- **أولا / القوى الناطقة:**

يتحكم فيها العقل يتميز بها الإنسان الذي يميز بين الخطأ والصواب حتى يعلو الى درجة من التمييز، فهذه الصفة تميزه عن بقية الكائنات، حيث قال " فالقوة الناطقة هي التي تسمى الملكية وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ..." [3]

وقال " أما النفس الناطقة أعني العاقلة فهي كما قال أفلاطون بهذه الألفاظ أما هذه بمنزلة الذهب في اللين والانعطاف".[4]

فقد شبه ابن مسكويه النفس الناطقة بمنزلة الذهب فهي نعمة من الله أنعم بها على الإنسان، الذي ميزه بالعقل عن باقي الكائنات.

---

[1] حياة بنت سعيد بن عمر با أخضر: النفس عند الفلاسفة الإغريق، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد46، محرم1430هـ، ص129.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص13 –14.

[3] المصدر نفسه، ص14.

[4] المصدر نفسه، ص46.

ثانيا / القوة الغضبية:

هي التي تسمى السبعية وآلتها التي تستعملها من البدن القلب.[1]

إذ تحتل هذه النفس المرتبة الوسطى وظيفتها الغضب والنجدة سماها مسكويه بالقوة السبعية " وبهذه القوة يكون الغضب وحب التسلط والإقدام على الاهوال".[2]

وهذه القوة تميل الى التسلط والترفع سماها مسكويه بالقوة السبعية آلتها من البدن القلب بها تغضب النفس على الأهوال.

ثالثا / القوة الشهوانية:

فقد قال عنها مسكويه " القوة الشهوانية هي التي تسمى بالبهيمة وآلتها التي تستعملها من البدن الكبد".[3]

- إذ تحتل هذه القوة المرتبة الأدنى في ترتيب القوى، لأنها تؤدي بالنفس الى الشهوات الجسمانية، وإذا طاوعها الإنسان جعلته يتحلى بالأعمال الرديئة، لأنها عادمة للأدب، وتسمى بالبهيمة.

غير أن النفس في نظر مسكويه " جوهر حي باق لا يقبل الموت ولا الفناء وأنها ليست الحياة بعينها، بل تعطي الحياة كل ما توجد فيه...وأنها لو كانت الحياة لكانت الحياة بحي...وأن للنفس أفعالا خاصة بها مفارقا للبدن...ويقصد بالمفارق ذلك الجزء العقل نت النفس...لأن النفس الشهوانية تموت بموت البدن..." [4]

[1] ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق ،ص14.

[2] ناجي التكريتي: فلسفة الاخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص42.

[3] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص14.

[4] ابن مسكويه: الفوز الأصغر، مصدر سابق، ص ص، 46–50.

- فالنفس في نظر مسكويه واحدة إلا أنها متعددة القوى والميول والاتجاهات غير أنها تحتوي على أفعال تفارق البدن بعد موته، وذلك الجزء المفارق هو الجزء العاقل منها، إلا أن الشهوات تموت بموت البدن.

يضيف مسكويه تعريف آخر للنفس ومراتها وهو " النفس هي الجوهر البخاري الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماه الحكيم الروح الحيواني وهي الواسطة بين القلب الذي النفس الناطقة وبين البدن المشار إليه بها القرءان بالشجرة بالزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية..." [1]

شبه مسكويه النفس الناطقة بشجرة الزيتونة المباركة المذكورة في القرءان وذلك لكون علاقتها بالبدن يعتبرها الواسطة بين القلب والبدن.

ويقصد ان النفس هي جوهر الإنسان ومحرك أوجه نشاطه المختلفة إدراكية أو حركية أو فكرية أو انفعالية أو أخلاقية أي بين حركات البدن ونشاطه سواء كان ذلك على مستوى الواقع أو الفهم، فهي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر والتأثر مكونين معا وحدة متميزة نطلق عليها لفظ شخصية تميز الفرد عن غيره من الناس.

- ويعلم من هذا التقسيم للنفس " أن بعضها إذا قوي أضر بالآخر، وربما أبطل إحداهما فعل الأخرى وربما جعلت نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحدة...وأنت تكتفي في تعلم الأخلاق بأنها قوى ثلاثة متباينة تقوى إحداهما وتضعف بحسب المزاج والعادة والتأديب".[2]

فهذه القوى يصفها مسكويه بالأنفس الثلاث، إذا اتصلت صارت شيئا واحدا وتبقى في الوقت ذاته على تغايرها وثورتها كأنها لم تتصل.

- كما نجد أن مسكويه يوضح لنا بأن هناك تباين حاصل بين القوى الثلاث فإذا طغت نفس على نفس أضرت بالأخرى وقد يصل الأمر الى بطلان أحدهما فالإنسان هو الوحيد الذي يستطيع أن يحدد في أي مرتبة يكون، ولبيان هذا نجد قول مسكويه

[1] سيد علي الطوبجي السيوطي: السعادة لابن مسكويه في فلسفة الاخلاق، المطبعة العربية، (ط 2)، مصر، 1928، ص 24.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص18.

" فإن شئت فانزل في منازل البهائم فإنك تكون منهم وإن شئت فانزل في منازل السباع، وإن شئت فأنزل في منازل الملائكة وكن منهم ".[1]

➢ المطلب الثاني: مراتب الفضيلة.

يعرف مسكويه الفضيلة بأنها " الفضيلة وسط بين رذائل، وما أنا واصفه أن الأرض لما كانت في غاية البعد من السماء قيل: أنها وسط لذلك المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط، وإذا كان الشيء على غاية البعد من شيء آخر فهو من هذه الجهة على القطر...".[2]

- نفهم من هذا التقسيم للفضيلة أن مسكويه سار على نفس مسيرة آرسطو ومعنى ذلك أن الوسط من الفضيلة هو ابتعاد عن الرذيلة فإذا انحرفت او اعوجت ومالت اقتربت من الرذيلة.
- فالفضيلة لا تحصل الا عن طريق تهذيب نفوسا وتنقيتها من الشرور وذلك بالابتعاد عن الرذائل حيث يقول مسكويه: " فأما الفضائل أنفسها فليست تحصل لنا إلا بعد تطهر نفوسنا من الرذائل التي هي أضدادها أعني شهواتها الرديئة الجسمانية وثرواتها الفاحشة البهيمة " [3]

فالابتعاد عن الرذائل والامتناع عن شهوات الجسم ولذاته تحصل على الفضيلة

فقد تكلم مسكويه عن أنواع الفضائل التي تزهو بها النفس والرذائل التي تقابلها وأسباب ضعفها.

فالفضيلة هي وسط بين رذائل وفي الوقت نفسه يصعب التمسك بها لأن الفضائل تتم بالاجتماع وذلك لأن الإنسان مدني بالطبع، فهو محتاج الى الحياة المدنية كي يمارس

[1] ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص39.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الحسينية المصرية، ط01، مصر، 1329هـ، ص14.

[3] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص9.

الفضيلة، فالفضيلة هي وسك بين رذيلتين معتدلة أي لا إفراط لا تفريط، فالوسط هو أخلاق وكمال لا يوجد الا في الفضيلة إذا فالفضيلة هي الوسط الذي نطلبه بلا انقطاع

- ويقابل تقسيم النفس تقسيم آخر للفضائل حيث يقول: " فبعدد قوى النفس تنظم كل فضيلة منها فضائل جزئية نعود اليها باعتدال هذه الفضائل وانسجامها فيما بينها تكون فضيلة أخرى هي كمال الفضائل الثلاث..." [1]

فالنفس ثلاثة فضائل بحسب قواها، ونجد أن ابن مسكويه يؤكد بأن الفضائل لا تحصل الا عن طريق تهذيب نفوسنا وإبعادها عن الشرور والرذائل التي هي أضدادها ويوضح مسكويه مدى علاقة قوى النفس بالفضائل وما يقابلها من رذائل فيقول " وجب أن يكون عدد الفضائل بحسب أعداد هذه القوى وكذلك أضدادها التي هي رذائل، فمتى كانت حركة النفس الناطقة معتدلة حدثت عنها فضيلة العلم وتبعتها الحكمة، ومتى كانت حركة النفس البهيمة معتدلة...حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها فضيلة السخاء، ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة...حدثت عنها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة، ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاث باعتدالها ونسبة بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة " [2]

يوضح مسكويه علاقة النفس بالفضائل وما يقابلها من رذائل، ويقر بوجود فضيلة رابعة تنتج من اتحاد هذه الفضائل فيما بينها وبذلك يصح مجموع الفضائل أربعة هي: الحكمة، العقة، الشجاعة والعدالة.

[1] محمد يوسف موسى: فلسفة الاخلاق في الإسلام صلاتها بالفلسفة الإغريقية، (د ط)، مطبعة الازهر1943 م، ص87.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص9.

- **فضيلة الحكمة:** يقول ابن مسكويه عن فضيلة الحكمة بأنها: " الحكمة هي وسط بين السفه والبله وأعني بالسفه هنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي..." [1]

فالحكمة هي وسط بين السفه والبله، فالسفه هو استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي، والبله هو تعطيل هذه القوة واطراحها.

وأما الرذائل الأربع التي تقابلها فهي الجهل والشر والجبن والجور، وتحت كل واحد من هذه الرذائل أنواع كثيرة.

ويميز ابن مسكويه بين الحكمة والفلسفة " فهوى يرى أن الحكمة هي فضيلة النفس الناطقة المميزة " [2]

وذلك أنها تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة فيقول مسكويه " الحكمة هي فضيلة النفس الناطقة المميزة، إنها تعلم الموجودات كلها من حيث أنها موجودة ولا بأس أن نذكر أنها تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية...".[3]

- يجعل مسكويه فضيلة الحكمة هي الأولى وتندرج تحتها مجموعة من الفضائل الفرعية وتكلم عنها بشكل أوسع حيث يقول " أما الذكاء فهو سرعة إنقداح النتائج وسهولتها على النفس، أما الذكر فهو ثبات صورة ما يخلصه العقل أو الوهم من الأمور، وأما العقل فهو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه، وأما صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب، وأما جودة الذهن وقوته فهو تأمل النفس لما قد لزم من المقدم، وأما سهولة التعلم فهي قوة النفس..." [4]

---

[1] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص21.

[2] محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، مرجع سابق، ص311.

[3] ناجي التكريتي: فلسفة الاخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص75.

[4] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص17.

ونفهم من هذه الصفات الأخلاقية أن الذكاء هو سرعة إقتراح النتائج وسهولتها على النفس، والذكر هو ثبات صورة ما يخلعه العقل من الأمور ومنها التعقل وصفاء الذهن وقوته

- **فضيلة الشجاعة:** ويقول عنها ابن مسكويه: " متى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تسقطه لها تهيج في غير حينها ولا تحمي أكثر مما ينبغي لها حدثت منها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة".[1]

إذن فالشجاعة هي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الإنسان عند اعتدال النفس الغضبية وبحسب انقيادها للنفس الناطقة، فالشجاعة في نظر مسكويه ترتبط بالقلب، فهي تخص أمور الإنسان التي تواجهه في حياته اليومية " فالشجاعة عنده هي وسط، وأما الإفراط فيها فهو تهور والتفريط فهو جبن " [2]

يبين لنا أن التهور والتسرع في الحكم على الأمور دون التفكير فيما يترتب عنها من عواقب، وأما الجبن هو الخوف والتهرب من شيء لا يجب أن تخاف منه

وتحت جنس هذه الفضيلة تندرج مجموعة من الفضائل وهي " كبر النفس، عظم الهمة، الثبات، الصبر، الحلم، عدم الطيش، الشهامة، احتمال الكد " [3]

- والمقصود بكبر النفس القدرة على تحمل المصاعب والكرائه والاستهانة بكل ما هو يسير وسهل، والنجدة هي ثقة النفس عند المخاوف، وأما عظمة الهمة فضيلة تخص النفس وسعادتها، وأما الثبات فهو فضيلة تقي النفس وأما الحلم فهو يكسب النفس الطمأنينة، وعدم الطيش فهو السكون والشهامة فيحرص بها الإنسان على الأعمال العظيمة واحتمال المصاعب

[1] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص14.

[2] ناجي التكريتي: فلسفة الاخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص63.

[3] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص18.

- **فضيلة العفة:** " هي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضائل في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي أعني أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشهواته " [1]

ويقصد بذلك أن فضيلة النفس البهيمة، وتكون بسكون النفس عند الشهوات والصبر في مقاومتها اللذات، فتحقق هذه الفضيلة عندما يبتعد الإنسان عن الشهوات الحسية التي تحطم الإنسان، فإذا ابتعد عن هذه الشهوات صار حرا وغير متعبد.

وتنتج عن هذه الفضيلة عدة فضائل " الحياء، الدعة، الصبر، السخاء، الحرية، القناعة، الدماثة، الانتظام، حسن الهدى، المسألة، الوقار، الورع " [2]

وتحت فضيلة السخاء تندرج فضائل من بينها " الكرم، الإيثار، المواساة، السماحة والمسامحة، أما الكرم فهو إتقان المال الكثير بسهولة...وأما الإيثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه، وأما النيل فهو سرور النفس بالأفعال العظام...وأما المواساة فهي معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأوقات، وأما السماحة فهي بذل بعض مالا يجب وأما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالإرادة والاختيار".[3]

وهذه الفضائل تجتمع تحت فضيلة السخاء ولا تكون إلا بالإرادة، فالعفة هي وسط بين رذيلتين هما الشره الشهوة والشره هو انهمال اللذات وخمود الشهوة هو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة الضرورية للبدن وقت الشرع والعقل وقال مسكويه في ذلك " العفة هي وسط بين رذيلتين هما الشره وخمود الشهوة".[4]

---

[1] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص14.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص14.

[3] المصدر نفسه، ص19.

[4] المصدر نفسه، ص18.

وعند اجتماع هذه الفضائل الثلاث تنتج عنهم فضيلة رابعة وهي فضيلة متممة ومكملة للفضائل وهي فضيلة العدالة إذ يقول مسكويه " ويحدث عن هذه الفضائل الثلاث باعتدالها ونسب بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة " [1].

- **فضيلة العدالة:** وهي فضيلة للنفس تحدث لها عند اجتماع هذه الفضائل الثلاث اعتبرها مسكويه " لا يصفها جزءا من الفضيلة العامة، بل الفضيلة كلها " [2] وهذا ما يقصد به تماما الفضائل كمالها، فهي ليست جزء من الفضائل بل كلها.

فالعدالة عند مسكويه " فضيلة النفس تحدثت عند اجتماع الفضائل الثلاث هذه الفضيلة تكون في الإنسان حين تنسجم القوى مع بعضها، ولا تتغالب ولا تتحرك نحو مطلوباته، بل تستسلم لزمام القوة المميزة ".[3]

هذه الفضيلة أشرف وأنقى الفضائل، بل كمال وتمام الثلاث ونجدها في ثلاث مواضع حسب مسكويه " فهي وسط بين الظلم والانظلام، اما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي واما الإنظلام فهو الاستحذاء والإستماته في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي".[4]

وعليه فإن فضيلة العدالة مميزة بين الفضائل كلها، فالفرد لا يصل الى الحكمة إلا إذا كان عادلا وبذلك تحقق المساواة وتنتج عن هذه الفضيلة عدة فضائل.

[1] ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص ص 14–15.

[2] محمد حمدي زقزوق: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دار الفكر العربي، د ط، 2003م، ص134.

[3] ناجي التكريتي: فلسفة الاخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سسابق، ص 75.

[4] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص ص23–24.

" الصدقة، الألفة، صلة الرحم، المكافأة، حسن الشركة، حسن القضاء، التردد، العبادة، ترك الحقد، مكافأة الشر بالخير، استعمال اللطف، ركوب المروءة في جميع الأحوال، ترك المعادات..."[1].

- يعظم مسكويه فضيلة العدالة لأنهت تجمع بين الفضائل الثلاث، لأنها ليست جزء من الفضيلة، بل لأنها الفضيلة كلها، وأن الفضائل الأخرى ليست بدونها شيئا، وهذه الفضيلة تتحقق إذا صار الإنسان في ضل القوة الناطقة اعتدلت القوى الأخرى وعندها تبرر فضيلة العدالة وهي الفضيلة الأسمى وبها تتحقق السعادة للإنسان.

" فالعدالة فضيلة ينصف بها الإنسان من نفسه ومن غيره ومن غير أن يعطي نفسه من النافع أكثر وغيره أقل " [2] فالإنسان لا يمكنه تحقيق العدالة عندما يكون وحيدا لأنه مدني بطبعه " يرى مسكويه في معرض دراسته للفضائل، ان الإنسان لا يمكنه تحقيق الفضائل والوصول الى السعادة إذا عاش وحده غذ أنه يحتاج الى معاونة الأخرين له بمعنى أن الإنسان اجتماعي بطبعه "[3].

ومن الجدير بالذكر أن مسكويه أسس فلسفته الخلقية على أسس أفلاطونية واضحة، فقد التزم بجوهرية النفس وانفصالها عن الجسد وسلم بالقسمة الثلاثية لقوى النفس على غرار أفلاطون، وأعتبر أن لكل من هذه القوى فضيلته الخاصة...

[1] ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص 24.

[3] كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب اخلاقية، مرجع سابق، ص 19.

➢ المبحث الثاني: العدل والسعادة الإنسانية.

• المطلب الأول: العدل والعدالة.

قال مسكويه: " إن آرسطو طاليس قسم العدالة الى أقسام ثلاثة أحدها ما يقوم الناس لرب العالمين...والثاني ما يقوم به بعض الناس لبعض من أداء الحقوق وتعظيم الرؤساء وتأدية الامانات والنصفة في المعاملات، والثالث ما يقومون به من حقوق أسلافهم..." [1]

– وهذا يعني أن العدالة الأولى خاصة بما يقدمه الفرد لخالقه، أي ما يجري بين الفرد والخالق عز وجل كما يجب من عباده، وذلك أن العدالة تظهر في العطاء، ذلك أن من أعطى خيرا ما وإن كان قليلا ثم لم ير مقابله فهو جائر.

– والثانية ما يكون من حقوق بين الناس ورؤسائهم كأداء الحقوق وطاعة أسيادهم، أما العدالة الثالثة فتخص عن الأسلاف كأداء الديون وتنفيذ وصاياهم.

فالعدالة حسب مسكويه هي تحصيل للفضيلة إذ قال في ذلك " إذ كانت العدالة فعلا اختياريا يتعاطاه العادل ويقصد به تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس ويجب أن يكون الجور فعلا اختياريا يتعاطاه الجائر ".[2]

فالعدالة هي وصول للفضيلة الشخصية وبالتالي الثناء من الغير وتحصيل الرذيلة للنفس وخدمة للناس فالجور فعل يختاره الجائز.

فالعدالة هي توسط " العدالة توسط ليس على جهة التوسط الذي في الفضائل التي تقدم ذكرها لكن لأنها في الوسط والجور في الطرفين، وإنما صار الجور في الطرفين لأنه زيادة ونقصان، ذلك ان من شأن الجور طلب الزيادة والنقصان معا..." [3]

---

[1] كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه، مذاهب أخلاقية، مرجع سابق، ص290.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص106.

[3] كامل محمد محمد عويضة: مرجع سابق، ص292

- ويقصد بالزيادة هنا من النافع على الإطلاق، والنقصان من الضار، فالزيادة تستعمل في المنافع الشخصية، والنقصان يكون للغير، فهيئة العدالة غير هيئة الجور

فإذا طبق الإنسان العدل فقد بلغ الفضيلة، وذلك بعدله على نفسه أولا لزم ذلك أن يعدل على من حوله إذ يقول: " فإذا تم للإنسان ذلك، أعني أن يعدل على نفسه، وأحرز هذه الفضيلة فقد لزمه أن يعدل على أصدقائه وأهله وعشيرته..." [1] وهذا يعني ان من عدل بلغ الفضيلة وذلك أنه مع طبق العدل على نفسه لزم تطبيقه على غيره.

- فالعدل أتم الفضائل وأكملها " أما مسكويه فإن العدل عنده توسط بين أطراف وهيأة يقتدر به على رد الزائد والناقص إليه لهذا صار العدل أتم الفضائل..." [2]
- هذا يعني أن الزيادة أو النقصان في الشيء يفسدانه والاعتدال هو الذي يحفظ وحدته ويزيل رذيلته، فالعادل الحقيقي عند مسكويه هو الذي يعدل في أفعاله وأحواله، فلا يزيد بعضها على بعض، فالعادل هو الذي يعدل في كل الأمور، حتى يحقق بذلك رغباته وشهواته وبهذا تتحقق فضيلة العدالة

وقد أضاف مسكويه موضعين يحققان العدالة وهما العدل الساكن وهو الدينار والعدل النطق وهو الحاكم فيقول: " أما الحاكم الأكبر من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس ثان من قبله، والدينار ناموس ثالث، فناموس الله قدوة النواميس كلها..." [3]

وهو ما يؤدي الى استواء في المعاملة بين أفراد المجتمع وبالتالي يتحقق العدل المدني، فبالعدل المدني تعمر المدن وبالجور تحرب، فلا يتحقق العدل إلا إذا وجد من يحفظ السنة وغيرها من وظائف الشريعة.

[1] كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، مرجع سابق، ص287.

[2] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص93.

[3] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص79.

فالعادل الحقيقي الذي يمارس العدل ويطبقه على جميع من حوله إذ يقول مسكويه " إن الملك الفاضل من بسط العدل وأوسع العمارة ووفر للناس ما يؤمن مصالحهم ومعاشهم، ومنع من التظالم، وأنه في هذه الحالة قد أحسن الى كل واحد منهم " [1]

وعليه صفات الملك الفاضل العادل هي ما يكون فيها مصلحة عامة ومنع الظلم.

فالشرعة تأمر بالعدالة التي تؤدي الى المساواة وبالتالي العدالة الكلية " إن الشريعة تأمر بالعدالة أمرا كليا، وليست تنحط الى الجزئيات وأعني بذلك أن العدالة التي هي المساواة تكون في باب الكم ومرة في باب الكيف...وهذا يقصد به لاعدالة الكلية وهو الابتعاد عن الجزئيات التي لا يمكن تعيين عليها لأنها بلا نهاية " [2].

فالعادل الحقيقي هو الذي يعدل في أفعاله وأحواه كلها إذ يقول مسكويه " فأما العادل الحقيقي هو الذي يعدل قواه وأفعاله واحواله كلها حتى لا يزيد بعضها على بعض..." [3]

والمقصود هنا هو فضيلة العدالة نفسها لا غرض آخر سواها فهي أتم الفضائل وأكملها.

- يرى ابن مسكويه في كتابه تهذيب الأخ وتطهير الأعراق أن العدالة موجودة في ثلاثة مواضع فيقول: " أن العدالة موجودة في ثلاثة مواضع، أحدها قسمة الأموال والكرامات والثاني قسمة المعاملات الإرادية كالبيع والشراء والمفاوضات والثالث قسمة الأشياء التي وقع فيها ظلم وتعبد " [4]
- إذن فمواطن العدالة ثلاث في نظر مسكويه والشريعة هي التي ترسم الاعتدال والتوسط في هذه المواطن.

[1] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص95.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص109

[3] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص95.

[4] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص94

وتبدوا نزعة مسكويه الاجتماعية واضحة في هذه المواطن إذ يقول في ذلك: " الناس مدنيون بالطبع، ولا يتم لهم العيش إلا بالتعاون فبعضهم يخدم بعض..." [1]

وكتوضيح لهذه المواطن يقول مسكويه " فأما العدالة في الأمور التي تكون في القسم الأول فتكون بالنسبة المنفصلة التي بين الأربعة أعني ان تكون نسبة الأول الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع " [2]

- مثال ذلك: نسبة الإنسان الى الكرامة والمال كنسبة كل من كان في مرتبته الى مثل قسطه فيجب ان يوفر عليه ويسلم

ويعمل القول " أما في الأمور التي تكون في القسم الثاني أعني المعاملات والمعارضات فيكون بالنسبة المنفصلة مرة وبالنسبة المتصلة له أخرى " [3]

ومثال ذلك: نسبة هذا الحذاء الى هذا الإسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف.

والشريعة هي التي ترسم في كل واحد من هذه الأشياء التوسط والاعتدال لأن الناس هم مدنيون بالطبع ولا يتم لهم العيش إلا بالتعاون.

- يتميز مبحث العدالة عند ابن مسكويه بحضوره القوي في فلسفته الأخلاقية، فهي تمثل فب هذه الفلسفة ثمرة للعلم الفاضل وعلته في نفس الوقت وبالتالي هي فضيلة كلها بل وأم جميع الفضائل وأصبحت بمثابة العصب المركزي الذي يخترق فلسفته الأخلاقية.

[1] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص79

[2] تهذيب الاخلاق ابن مسكويه، ص54. http: //www.al-mostafa.com

[3] نفسه، ص54

- **المطلب الثاني: السعادة وأنواعها.**

يعد مفهوم السعادة من أهم المحاور التي شغلت الكثير من مفكري الإسلام وتعد بمثابة حجر أساس وقاعدة رمي الى رفع أعمدتها الفلاسفة، ويعتبر الانشغال بمسألة السعادة هو انشغال فلسفي عميق اهتم به فلاسفة الإسلام بل ويعد محورا أساسيا لفلسفتهم التي كانت نتاجا للمؤثرات اليونانية والإسلامية، وهذا ما يميزها عن باقي النظريات.

- يمكن أن تكون السعادة نابعة من داخل الفرد نفسه، فالسعادة هي الهدف النهائي الذي يسعى إليه الفرد، ويبدوا أن مفهوم السعادة في حاجة لإعادة تعريف وإعادة تقديمه للناس بعد أن أصبح بسيطا.

جاء مصطلح السعادة في المصطلح الفلسفي لجميل صليبا على أنه " السعادة ضد الشقاوة، وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير، والفرق بين السعادة واللذة أن السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأن رضى النفس بها تام على حين أن اللذة حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان وأن الرضا النفس بها مؤقت ومن شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية".[1]

يتحدث مسكويه عن السعادة في الإطار الذي تحدث فيه القدماء وبعبارة أدق في الإطار الآرسطي فيقول: " أما السعادة فهي الخير بالإضافة الى صاحبها وهي كمالها له، فالسعادة إذا خير، وقد تكون سعادة الإنسان غير سعادة الفرس، وسعادة كل شيء في تمامه وكماله الذي يخص..." [2]

فالسعادة هنا في خير يخص الإنسان، بل وهي تمام الخيرات والتمام هو الشيء الذي إذا بلغنا إليه لا تحتاج معه الى شيء آخر.

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1 (مادة السعادة)، ص656.

[2] آرسطو: علم الأخلاق الى نيقوماخوس، تر من اليونانية الى الفرنسية، بارتلمي سانتن هلير، تع احمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، (د.ط) ج1، القاهرة، 1924م، ص241.

" السعادة هي شيء ثابت غير زائل ولا متغير وهي أشرف الأمور وأكرمها وأرفعها..." [1]

ويضيف ابن مسكويه على ما ذكره بأن السعادة خيرا فيقول." أن السعادة هي أفضل الخيرات ولكن نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى الى سعادات أخرى وهي التي تكون في البدن والتي خارج البدن " [2]

- فيتبين لنا أن الهدف المرجو أفضل الخيرات وهو التمام والكمال، ويتحقق من خلال اجتماع سعادات أن تكون في البدن وخارجه.

" السعادة هي لوازم الإحساس بالفضائل، وإذا كان الأمر كذلك فإن السعادة الحقيقية لا تتوافر إلا للفضلاء..." [3]

فالسعادة هي أفضل الخيرات، وهي الغاية القصوى التي يسعى إليها الإنسان الفاضل، فسعادة كل موجود عند مسكويه هي واقفة على نتيجة أعماله فسعادة الإنسان تكون بصدور أفعالها الإنسانية بحسب فضائله، والسعادة الحقيقة لا تتوفر إلا في الإنسان الحكيم الفاضل.

وأما أقسام السعادة على مذهب آرسطو طاليس فهي خمسة أقسام " أحدها في صحة البدن ولطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج...والثاني في الثروة والأعوان وأشباههما...والثالث أن تحس أحدوثته في الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل...والرابع أن يكون منجحا في الأمور...والخامس أن يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه وغير دينه...فمن اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له بعضها كان حضه من السعادة بحسب ذلك..." [4]

[1] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص67.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص66.

[3] محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، ط1، الكويت، 1982م، ص325.

[4] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص65-66.

- هذا التقسيم للسعادة يبين لنا رأي مسكويه حيث يرى بأنه لو تحصل الإنسان على هذه الأقسام الخمسة من السعادة فهو السعيد الذي بلغ الى تمامه وكماله، والاختلاف في نوع السعادة يؤدي الى الاختلاف في وقت حدوثها.

فمن اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل ومن حصل له بعضها كان حصة من السعادة بحسب ذلك

" وهكذا فإن سعادة كل موجود، إنما هي موقوفة على نتيجة أعماله، إن سعادة الإنسان إذن تكون في صدور أفعاله الإنسانية عنه بحسب الرؤية " [1]

ويقصد بذلك ان سعادة الفرد مرتبطة بأعماله وأن الإنسان الذي يختار الأفضل ويطبقه ويكون سعيدا معرضا للملك الأبدي والنعيم السرمدي فمسكويه بِمن بأن الخير والشر يكمن في الأفعال الإرادية.

- **أنواع السعادة:**

بالنسبة لرأي مسكويه الخاص حول السعادة فهو يؤكد بأن " الإنسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الأنعام لأنه مركب منها..." [2]

فالإنسان لا تتم سعادته إلا بتحصيل الحالين، فالسعيد من يكون في إحدى المرتبتين، إما الجسمانية متعلقا بأحوالها السفلى مطالعا بذلك الأمور الشريفة سعيدا بها، وإما الروحانية متعلقا بأحوالها العليا سعيدا بها مطالعا بذلك الأمور البدنية متطلعا في قدرة الإله ودلائل الحكمة

فالإنسان روح وجسد، فهو فضيلة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الأنعام، وتتم السعادة بتحصيل الحالين معا.

[1] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص179.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص 70

إذا السعادة حسب ابن مسكويه نوعان:

1/ **سعادة دنيوية:** وهي لست سعادة تامة، بل سعادة فانية لأنها في تحصر دائم على ما فاتها من شهوات، وتتحقق هذه السعادة بالكمال في القريب، أي كلما تحققت الملذات الشخصية والبدنية يكون الإنسان سعيدا وهذا ما قصده ابن مسكويه بالمرتبة الأولى

2/ **السعادة القصوى:** ليس ينالها كل واحد ولا يظفر بها كل من طلبها وذلك أن استعمال هذه السعادات والنظر فيما كان منها خادما ليتوصل بها الى ما هو رئيس عليها والترقي فيها درجة الى أن يبلغ أعلاها...[1]

- إذن هذه السعادة لا ينالها ولا يسمو لها كل من طلبها، لأنها تمام الخيرات فهي بعيدة عن طلب اللذات والشهوات البدنية والجسمية وهي حالة من السمو و الرقي الروحي، ويصل الإنسان الذي إرتقى الى هذه الدرجة الى حظ وافرمن الحكمة، فيقول ابن مسكويه: " ان صاحب المرتبة الأخرى هو السعيد التام وهو الذي توفر حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانيته بين الملإ الأعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الإلهي..." [2]

فالسعادة التامة التي تتصف بالقداسة فالذي يرغب فيها ويريد أن يصل اليها فتحصل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة.

" السعيد من الناس من يكون إحدى المرتبتين، إما أن يكون متعلقا بأحوال الجسم ويهمها رضا طلبات البدن ويكون سعيدا بها، وإما أن يكون في رتبة الأمور الروحانية متعلقا بأحوالها العليا سعيدا بها إن أي امرئ لم يحصل في إحدى هاتين المنزلتين فهو في رتبة الأنعام " [3]

فالمقصود هنا أن السعادة مرتبتين سعادة الجسم وإرضاء البدن من طلبات وشهوات، وسعادة النفس التي ترضي النفس وأحوالها وتتعلق بها فالسعيد التام في نظر مسكويه هو من

[1] محمود علي الصبيح: السعادة لابن مسكويه في فلسفة الاخلاق، المطبعة العربية، (ط 2)، مصر، 1968، ص 41.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص71.

[3] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص184.

يستمد الحكمة من الله ويستنير بنوره سبحانه وتعالى، وبهذا مسكويه يقوم بمزج الفلسفة اليونانية بالشريعة الإسلامية وبهذا المعنى فإنه يبدأ بالفلسفة وينتهي بالشريعة.

فالسعادة عند ابن مسكويه نوعان، روحانية ودنيوية، ولا يتم الكمال للإنسان إلا إذا حصل على المرتبتين فيقول: " فإن قد قلنا هناك انا لسنا نغني بالعلوي المكان الأعلى في الحس ولا بالعالم السفلي المكان الأسفل في الحس، بل كل المحسوس فهو أسفل وإن كان محسوس في المكان الأعلى وكل معقول فهو أعلى وإن كان معقولا في المكان الأسفل..." [1]

فإذا تبين أمر هاتين المنزلتين من السعادة فقد تبين أن إحداهما أولى والأخرى ثانية ومن المستحيل أن تصل الى السعادة الثانية من غير أن يمر على السعادة الأولى.

فالسعيد حسب ابن مسكويه يكون في احدى المرتبتين إذ يقول " أن أحدهما ناقص مقصر عن الآخر بسبب الزخارف الحسية التي تعرضه فيما تلابسه، فتعرضه فيما يلاحظه، وتمنعه من الترقي على ما ينبغي، وتشغله لما يتعلق به من الأمور الجسمانية، صاحب هذه المرتبة اذن غير كامل على الإطلاق ولا سعيد تام السعادة "[2]

فالسعادة القصوى لا ينالها كل واحد ولا يصل اليها كل من طلبها، ومن علامة من وصل الى السعادة القصوى أن يكون نشيطا، فسيح الأمل، قوي الرجاء، ساكن الجأش، غير مضطرب ولا مكترث بأمور الدنيا إلا بمقدار يسير جدا.

إذا فالسعادة التامة التي تتصف بالقداسة، فالذي يرغب فيها ويريد أن يصل إليها يجب ان يصل الى درجة الحكمة، فتحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة.

[1] كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، مرجع سابق، ص268.

[2] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين آرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص184

حيث قال: " لكن مسكويه مر بمثله الأعلى مرورا لطيفا، فوصفه بأنه هو الحاصل على السعادة القصوى، وأن هذا السعيد السعادة القصوى مغتبط بذاته؛ لأنه يشاهد أمورا لا تتغير ولا تستحيل أبدا..." [1]

- مسكويه جعل الإنسان مثلا أعلى، فهو الوحيد الذي يصل الى السعادة القصوى، لأنها تتصف بالقداسة، فيتخلى الإنسان عن نزواته ليفسح المجال للعقل ليربطه بعالم الإله، وهذا هو الهدف الأسمى الذي يميز الإنسان غيره.
- يخلص مسكويه الى أن غرض الفلسفة هو الوصول الى السعادة التي قسمها الى قسمين جزء نضري وجزء عملي، فإذا كمل الإنسان بالجزأين فقد سعد السعادة التامة، فمن وصل الى هذه المرتبة فقد وصل الى آخر السعادات وأتمها وأقصاها.
- **الشقاء الذي يقابل السعادة:** أما عن أصناف الشقاء والمقابلة لهذه السعادات فيرى مسكويه أنها تعرف في مقابلاتها، فينبغي أن يمشي كل إنسان بحسب مرتبته الى سعادته التي تخصه فيقول " لولا أن السعادات كثيرة وعلى ضروب لكان السعيد في الحقيقة واحدا من الناس وهو من حصل جميع أجزاء الفلسفة، وفهم يجمع الصنائع، وتوفر حظه من الحكمة كلها، ولو كان كذلك لكان وجود سائر الناس عبثا لا غاية لهم، ولا كمال ولحصل أشقياء..." [2]
- وهذا يدل على أن هذه السعادات لا تبلغ بالإنسان الى الكمال وذلك أنها تنتهي الى غايات متباينة وهذا ما يؤدي الى الشقاء الذي يؤدي الى زوال الحمد والذم وعدم استجابة الدعاء.
- فكل سعادة يقابلها شقاء وحيث قيل " إن صاحب الثروة إذا مرض رأى أن السعادة هي الصحة، وصاحب الصحة إذا أصابه ذل رأى أن السعادة هي الكرامة، ومعلوم أن السعادة هي شيء ثابت لا تصير شقاء، ولا ينتقل صاحبها فيكون شقيا بالذي صار به سعيدا " [3]

[1] محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، مرجع سابق، ص ص310–311.

[2] محمود علي الصبيح: السعادة لإبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص ص38–39.

[3] محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، مرجع سابق، ص309.

- وهذا يدل على اختلاف الناس في غاياتهم، فالبعض غايته اللذة ويسعى إليها ليصبح سعيدا، فإذا اكتفى من تلك اللذة ثم كلف بعد ذلك الازدياد مما زعمه سعادة صار ذلك شقاءا، فيكون شقيا بالسبب الذي صار به سعيدا.

نخلص في الأخير من خلال دراستنا للسعادة عند ابن مسكويه ان المحرك الأساسي للسعادتين هو العقل، فالعقل أي في السعادة الأخلاقية هو عقل عملي والكمال فيه كمال قريب، اما العقل في السعادة القصوى هو عقل نضري والكمال هو كمال بعيد.

➢ **خلاصة:**

نستخلص مما سبق أن مسكويه أسس فلسفته الأخلاقية على أسس يونانية إسلامية، فقد التزم بجوهرية النفس وانفصالها عن الجسد، اذ سلم بالقسمة الثلاثية لقوى النفس، واعتبر أن لكل هذه القوى فضيلته الخاصة، وقد نجم عن هذه الفضائل الأربعة طائفة من الفضائل الفرعية تعتبر جذعا لها.

وللوصول الى السعادة والحصول عليها يجب أن يسعى الإنسان ويحرص على فعل الخير والخير الأقصى، فالسعادة تعني وصول الإنسان الكمال الذاتي الذي يتحقق بالاعتماد على العقل لتحقيق كل أمر خير فيه مصلحة للفرد والمجتمع.

كما يتميز مبحث العدالة عند ابن مسكويه بحضوره القوي في فلسفته الأخلاقية، فالعدالة تمثل ثمرة للعلم الفاضل وعلته فينفس الوقت وبالتالي هي فضيلة كلها، بل وام جميع الفضائل وأصبحت بمثابة العصب المركزي الذي يخترق فلسفته الأخلاقية.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: طبيعة الأخلاق عند ابن مسكويه.

المبحث الأول: السلوك الخلقي وتربية الطفل عند ابن مسكويه

- **المطلب الأول: السلوك الخلقي**
- **المطلب الثاني: تربية الطفل**

المبحث الثاني: الصداقة، الخوف من الموت، الاستدلال على وجود الله وعلاقته بالأخلاق.

- **المطلب الأول: الصداقة والمحبة.**
- **المطلب الثاني: الخوف من الموت وطرق علاجه.**
- **المطلب الثالث: طبيعة الاستدلال على وجود الله.**

➢ **تمهيد**

يعتبر ابن مسكويه ان التربية السليمة والسلوك الأخلاقي هما الأساس في تشكيل الشخصية وتنمية الأخلاق الحميدة، إذ يركز على تأسيس أسس قوية من الأخلاق الصاحة والقيم الأخلاقية في الأفراد منذ الصغر، كما يؤمن ابن مسكويه بأن الأخلاق والقيم يجب أن تكون جزءا لا يتجزأ من التربية إذ يركز فكره التربوي على أهمية بناء أسس قوية لتربية، فما هي أهم الأسس التي بنى عليها أفكاره التربوية؟

ولما كان الإنسان كائن اجتماعي بطبعه يؤثر ويتأثر مع الآخر محاولا بناء علاقات محبة وصداقة تجمعه مع الغير، ولضرورة الموضوع وأهميته ركز ابن مسكويه على هذا الجانب وحاول وضع معايير وشروط لاختيار الصديق، وكيفية نشر المحبة بين الأفراد وفي المجتمع، فكيف يمكن اخيار الصديق؟ وما هي المعايير اللازمة لتكوين صداقات قائمة على الحب والخير؟

وبما أن الموت هو أكبر مخاوف الإنسان الذي يجعله يغادر أحبابه وأصدقائه ما يجعل هذا الأمر يؤثر على سلوكه، فما هي أسبابه؟ وكيف شخص ابن مسكويه علله وماهي الحلول العلاجية التي وضعها؟

ثم ماذا عن طبيعة الاستدلال على وجود الله وماهي الأدلة التي استخدمها لإثبات أن الله واحد أحد يتميز بالكمال و المطلقية.

➢ المبحث الأول: السلوك الخلقي وتربية الطفل عند ابن مسكويه.

• المطلب الأول: السلوك الخلقي.

السلوك الخلقي هو عمل الإنسان المتجه نحو غاية معينة مقصودة، تهدف الى تحقيق مطال جسدية أو روحية أو فكرية، إذ تتميز فلسفة ابن مسكويه بالتركيز على الأخلاق والأدب، حيث أن السلوك الحسن هو الذي يصل بالإنسان الى الكمال والفضيلة، إذ يشدد على أهمية التربية السليمة في بناء الشخصية الإنسانية وتنمية القيم الأخلاقية الإيجابية، فالإنسان الذي يتحلى بالأخلاق الحميدة قادرا على تحقيق الأفضل والوصول الى الكمال الإنساني والى السعادة القصوى.

بما أن مسكويه عرف الخلق على أنه " حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية".[1]

فقد قسم الحال الى قسمين:

01/ ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، ويمثل هذا القسم السلوك القطري

02/ ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب...[2]

والمقصود بهذا التقسيم أن القسم الأول يمثل السلوك الفطري الذي يولد به الفرد، فيحركه أي شيء نحو الغضب ويهيج من أيسبب، أما القسم الثاني السلوك المكتسب الذي يتعود عليه الإنسان ويمثل العادات المكتسبة وما كان بالروبة ثم يستمر عليها حتى تصير خلقا.

كما يرى مسكويه أن التربية لا تقل عند حد زمني معين.

" ويحدد مسكويه هذه، نرى أن التربية لا تقف عند حد زمني معين وإنما تعليم مستمر يشمل الإنسان بعمره كله...".[1]

---

[1]ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص25.

[2]محمد حمزة سليماني، عبد المنان ملا معمور بار: الخلق منظور تربوي نفسي لدى مسكويه والغزالي، مرجع سابق، ص98.

حيث أن التربية لا تشمل الطفل فقط بل تبقى متطورة مع تطور عمر الإنسان، فالتعلم يمتد طوال الحياة ويمكن للإنسان أن يتعلم ويطور نفسه في أي مرحلة من عمره

وحتى عن طريق النفس فيتم اكتساب الخلق الجميل فقيل في ذلك: "" وأما عوارض النفس فيتم فيكسبه في الاخلاق التي تبين فيها كيف يكسب الإنسان الخلق الجميل المحمود ويصير ذلك هيئة وسجية في جميع الأمور..." [2]

وذلك يعني أن اكتساب الخلق عن طريق الذهن فقيل " أما جودة الذهن وقوة التمييز فيكسبه في المنطق التي في الصناعة إذا قدرت بها الإنسان عرف مراتب الاقتناعات وتصحيح الآراء في كل موجود على ما ينبغي..." [3]

فتحصيل هذين الخلقين هو ما يكسب الإنسان الخلق الجميل والسلوك الخير فيقود الإنسان نحو الفضيلة وذلك بالتعود على الأفعال الخيرة.

والكمال الخاص بالإنسان كمالان: " ذلك أنه قوتين إحداهما العالمة والأخرى العاملة، فلذلك يشتاق بإحدى القوتين الى المعارف والعلوم، ويشتاق بالأخرى الى نظم الأمور وترتيبها...فإذا الكمال الأول النظري منزلة الصورة، والكمال الثاني العملي منزلة المادة، وليس يتم أحدهما إلا لآخر..." [4]

فهذه القوتان تعتبران جوهرية في صياغة الكمال الخاص بالإنسان، فالإنسان يمكن أن يحصل على معرفة واسعة ومتنوعة في مختلف المجالات، مما يساعده في تطوير نفسه وسعيه الى البلوغ الى الكمال، فالكمال الخاص بالإنسان ينبغي أن يتألف من هاتين القوتين فالعلم مبدأ

---

[1]ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد الهلالي، منشورات الجمل، (ط 1)، بغداد بيروت، 2011، ص206.

[2]محمود علي الصبيح، السعادة لإبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، ط2، مرجع سابق، ص46

[3] المرجع نفسه، ص46.

[4]إبن مسكويه، تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص203.

والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضائعا والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلا وهذا التحويل للإطار النظري الى الحياة هو ما نغني به التربية..." [1]

وقد عارض مسكويه رأي الذين ظنوا: " أن كمال الإنسان وغايته هما في اللذات الحسية وأنها هي الخير المطلوب والسعادة القصوى..." [2]

وذلك أن كمال الإنسان في خلقه وهو الخير والسعادة القصوى التي هي أقصى مراتب الإنسانية، بحيث أنه من لم ينشأ على المنهج التربوي الذي وصفه مسكويه فيعتبر شقاء.

فالخلق هو سلوك يؤدي الى الكمال ثم الى السعادة القصوى ومن يكون سعيدا يكون حكيما، فالحكمة هي فضيلة يصل اليها الإنسان فينفع بها نفسه ثم ينفع بها غيره حيث " كانت الحكمة قبل هذا الحكيم متفرقة كتفرق سائر المنافع التي أبدعها الله تعالى وجعل الانتفاع بها موكولا الى حيلة الناس وما أعطاهم من القوة...فإذا جمعت وألفت حصل منها حوار نافع...حتى استخرج منه شفاء تاما تداوي النفوس من أسقام الجهالة..." [3]

وذلك يعني أن الحكمة كانت متفرقة قبل أن يقوم الحكماء من هذه الحكمة، إذا جمعوها ودرسوها وتعلموها جيدا، ويمكن استخدام هذه الحكمة للتطبيق على العديد من المجالات في الحياة، حيث يمكن الاستفادة من الخيرات المتفرقة وجمعها وتنظيمها لتحقيق الفوائد الكبيرة حتى تتمكن من السمعي لتحقيق أهدافنا.

فالحديث عن الكمال الإنساني يتضمن الحديث عن الخلق المحمود " وإذا قد ذكرنا الخلق المحمود وما ينبغي أن يؤخذ به الاحداث والصبيان فنحن واصفون جميع القوى التي تحدث للحيوان أولا إلى أن ينتهي الى أقصى الكمال في الإنسانية..." [4]

---

[1]ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص ص 203، 204

[2]مصطفى عشوى: الإنسان والكمال في فكر مسكويه، مجلة الراسخون، العدد 13، 2015، ص11.

[3]محمود علي الصبيح، السعادة لإبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص49.

[4]إبن مسكويه، تهذيب الاخلاق في التربية، مصدر سابق، ص54.

فالصفات الحسنة التي ينبغي أن تتوفر في الإنسان، فالخلق المحمود يشمل مجموعة من الصفات الحسنة مثل الصدق والإخلاص والعفة والعدل والكرم وغيرها.

- الكمال صفة يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات حيث قال: " نحن مضطرون الى أن تعرف الكمال الخاص بالإنسان والفعل الذي يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان لنحرص على طلبه وتحصيله ونجتهد في البلوغ الى غايته ونهايته..." [1]
- فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتميز عن غيره من المخلوقات فالإرادة والعقل يملكها الإنسان ويصل الى التفكير والتطوير، وهذه صفات تميزه عن غيره من المخلوقات، ونحن مضطرون الى التعرف على الكمال الخاص بالإنسان والفعل الذي لا يشاركه فيه غيره.
- ويرى ابن مسكويه ان الإنسان مفطور على الاخلاق الخير وأن مخالفتها تعد تجاوزا للفطرة الإنسانية [2]فيجب ان نحرص على الخيرات لأن فيها كمالنا، فمن أجلها خلق الإنسان ويجب عليها الاجتهاد للوصول إليها، كما يجب تجنب الشرور التي تبعدنا عن الأخلاق
- كما أكد مسكويه: " أن الأخلاق من الصناعات التي يجب أن تعطي العناية الكافية لها " [3] وذلك أن الأخلاق هي من أفضل وأحسن الصناعات كلها والتي تعني بتعديل أفعال الإنسان بما هو إنسان
- وقد وضح مسكويه أن الناس مراتب في إكتساب السلوك الخلقي والتنشئة الخلقية، منهم من يقبل على الآداب الخلقية...ومنهم المتواني والممتنع والسهل وبين هذه الأطراف لاكتساب السلوك الخلقي ومنهم من يبقى طول عمره على الحال التي كان عليها في طفولته...[4]

وأما عن بداية التدريب على السلوك الخلقي إذ أنه يبدا من العادة والتعود " حتى إذا تعودوا ذلك استمروا عليه مدة من الزمان كثيرة أمكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوا تقليدا ".[1]

[1] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص32.

[2]محمد حمزة سليماني، عبد المنان ملا معمور بار، الخلق منظور تربوي نفسي لدى كل من ابن مسكويه والغزالي، مرجع سابق، ص98.

[3] المرجع نفسه، ص98.

[4] المرجع فسه، ص106.

وذلك أن بداية تعلم السلوك الخلقي يبدأ من العادات التي يتعود عليها الإنسان حتى تصبح جزء من حياته اليومية، حتى يكرر السلوك المرغوب فيه حتى يتم تحويله الى عادة ثابتة في حياته.

- فلكي يبلغ الإنسان كماله فإنه: " يجب على العاقل ان يعرف ما ابتلى به الإنسان من هذه النقصانات التي في جسمه، وحاجاته الضرورية الى إزالتها وتكميلها..." [2]
- فقد أكد مسكويه على مقاصد الناس وتأثيرها على سلوكهم وفي ذلك قبل: " أكد مسكويه عند دراسته لموضوع المحبة وتأثيرها في السلوك على أن مقاصد الناس في مطالبهم وسيرهم ثلاثة، ويتركب منها مقصد رابع وهذه المقاصد: اللذة، الخير، والنافع (المتعة) والمتركب من هذه المقاصد، وعليه فإن سلوك الناس يتحكم فيه هذه المقاصد وتوجه وفق الأساس الذي توقفت منه " [3]

يمكن القول أن مقاصد الناس في مطالبهم وسيرهم تتحكم في سلوكهم وتوجههم وأن الشخص يؤمن بأن الخير والنافع هما المقاصد الرئيسية في الحياة، فقد يسعى الى العمل على تحسين الوضع لنفسه ولمن حوله ويعمل على تحسين العلاقات بين الناس بشكل عام.

- يؤكد مسكويه على ان الشريعة بها دور كبير في تنشئة الأفراد وتعويدهم على الاخلاق والفضائل الحميدة.

" أما بالنسبة للسلوك الخلقي لدى الأطفال يؤكد مسكويه على أثر الشريعة في القيام بتنشئة الأحداث وتعويدهم على الأخلاق والفضائل وعمل الوالدين في هذه التنشئة الأخلاقية " [4]

- يعتبر مسكويه الوالدين لهم دور كبير في تنشئة الأطفال على هذه القيم الخلقية النبيلة، ويجب عليهم تعويدهم على الالتزام بالأخلاق الحميدة والفضائل النبيلة وتجنب السلوكات السيئة،

---

[1] محمد حمزة سليماني، عبد المنان ملا معمور بار، مرجع سابق، ص109

[2] مصطفى عشوي: الإنسان والكمال في فكر مسكويه، مرجع سابق ص10

[3] نفسه، ص26

[4] محمد حمزة سليماني، عبد المنان ملا معمور بار، مرجع سابق ص114.

ويؤكد مسكويه على أن الشريعة الإسلامية تلعب دورا هاما في تربية الأطفال وتعويدهم على الأخلاق الحميدة، وذلك من خلال توجيهات الشريعة وقيمها العليا التي تحث على الصدق والأمانة والتسامح والعدل والرحمة والإحسان والإنصاف و غيرها من القيم النبيلة.

- تتميز فلسفة إبن مسكويه بالتركيز على الأخلاق والأدب، حيث أن السلوك الحسن هو الذي يجلب السعادة ويشدد على أهمية التربية السليمة في بناء شخصية الإنسان وتنمية القيم الأخلاقية الإيجابية، حيث يمكننا أن نجتهد في البلوغ الى غايتنا وذلك عن طريق تنمية قدراتنا العقلية والفكرية والمهارية وذلك بتحسين سلوكنا الأخلاق.

- **المطلب الثاني: تربية الطفل.**

- تعتبر التربية أساس بناء مجتمع سليم، حيث أن الأبناء هم صانعوا الغد والمستقبل، لذلك يؤكد المجتمع والإسلام اهتمامهم على التربية السليمة، ولأن الطفل من أثمن الأشياء التي يمكن أن يحصل عليها الإنسان من الله تعالى في كتابه العزيز: " **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا خيرا أملا...**" [1]
- والأنسان ملزم بالحفاظ على هذه الثروة النفسية، وتكريس كل وقته وطاقته لها، ولأنهم بناة المستقبل، فإن الأبناء قد يكونون متعلمين بشكل كامل، ولكن يجب تطوير وتحسين التربية خاصة في الدين والأخلاق " لقد أصبح مفهوم التربية جملة من العناصر المكونات، وسبق أن قلنا بأن التربية هي عملية تشكيل من جديد لذلك الإنسان من أجل تكييف هذه الذات مع الوسط الذي تعيش فيه وتتحرك " [2]
- فالتربية هي عملية شاملة كاملة، وكما أنها تضبط الفرد من الناحية العقلية والنفسية وحتى السلوكية وطريقة تفكيره وإعداده للحياة المستقبلية، وهي الطريقة التي يتكيف بها الأفراد مع بيئتهم والثقافة المحيطة بهم.

[1] سورة الكهف، الآية45

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد الهلالي، مصدر سابق، ص204.

- أما عند مسكويه فقد تأثر بآراء وأفكار الفلاسفة اليونانيين أمثال آرسطو وأفلاطون، كما أنه تأثر بالشريعة الإسلامية فيطلق على التربية عدة تسميات من بينها التأديب والتهذيب.

فيقول: " الشريعة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الأسية للفكر الصحيح والقياس المستقيم..." [1]

ويقصد بذلك أن الشريعة الإسلامية تساهم في تنشئة المجتمع على الأخلاق الميدة والفضائل النبيلة وتحثهم على ممارسة الخيرات وتجنب السيئات وتحقيق السعادة الأبدية، وبذلك فإن الشريعة الإسلامية تساعد في تربية الأطفال والشباب على القيم الخلقية النبيلة والسلوكات الحميدة وتعودهم على الالتزام بالأخلاق الإسلامية الصحيحة، وتفرز من ترابط المجتمع وتوحده.

فالتربية هي تعهد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية والأخذ به في الطريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعتهوذلك يعني أن عملية تعليمية تهدف الى نمو شخصية الإنسان وتنمية مهاراته وقدراته، وتساعد على تطوير الذات وتعزيز الثقة بالنفس، وتعد من أهم الأدوات التي يتم استخدامها لتحقيق التنمية والتقدم في المجتمعات.

فالتربية لم تأتي من العدم، بل هي أساليب تنتقل نت جيل الى جيل وتظهر التربية الإنسانية الكاملة إذا نظرنا الى احتياجات الإنسان المتعددة ومواهبه المتنوعة وأحطنا بملكاته جميعها لكي تتعهدها بالتنمية والتقوية[2]

- وقد كان إبن مسكويه من الفلاسفة الذين اهتموا بالتربية وخاصة تنشئة الطفل، ووضع مناهج لها تأثير على شخصية المتعلم، ويظهر في قوله " فمن اتفق له في الصبا أن يربي على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حق تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين..." [3]

[1] إبن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص29.

[2] كامل محمد محمد عويضة، ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، مرجع سابق، ص118.

[3] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص42.

مسكويه هنا يؤكد على عامل الدين الإسلامي في أخلاق الطفل، فالشريعة الإسلامية هي التي تتحكم في ضبط الأخلاق لأنها لصالح الإنسان من الناحية العملية والنظرية وعليه " فإن الإنسان في طفولته محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الإلهية، والدين القيم حتى تهذبه وتقومه، ثم الى الحكمة البالغة الى آخر عمره".[1]

- فالأخلاق هنا تكتسب بالتعلم والطفل في صغره يحتاج الى والديه، ففي المرحلة الأولى من حياة الإنسان تكون الأسرة والوالدين هما المسؤولين الأساسين عن تربية الطفل وتعليمه وإرشاده، ثم الى المرحلة اللاحقة يحتاج الى الشريعة الإلهية والدين القيم لتهذيبه وتقويمه، وبعد ذلك يحتاج الى الحكمة البالغة ليتمكن من اتخاذ القرارات الصحيحة بناءا على الخبرات الصحيحة والمناسبة بناءا على الخبرات التي اكتسبها طوال الحياة.

" فقد اعترف الإسلام بحقوق الطفل منذ لحظة خروجه حيا الى الدنيا فأوجب له حق الميراث كالكبير كما أوجب اختيار أحسن الأسماء له..." [2]

- فالإسلام لم يحرم الطفل من حقوقه وذلك من صغره، مثل رعاية الميراث فالإسلام أوجب حق الرعاية والتربية للطفل منذ نشأته، فيحرص على توفير كل الظروف اللازمة للطفل، لذلك يعتبر الإسلام دينا شاملا يهتم بكل جوانب الحياة.

فهناك أدلة كثيرة تؤكد أن تربية الطفل من أوجب الأشياء على الولي نحو ولده ويظهر ذلك في قوله صل الله عليه وسلم " **رحم الله عبدا أعان ولده على بره بالإحسان والتآلف له وتعليمه وتأديبه** ".[3]

وقوله صل الله عليه وسلم " **لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين** ".[1]

---

[1] مصطفى عشوي: الإنسان والكمال في فكر مسكويه، مرجع سابق، ص26

[2] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية الإسلامية ط.متفتحة، دار المعارف1987، ص130.

[3] حديث شريف: مستدرك الوسائك للمحدث النوري ج2، ص626.

- وهذا يدل على أن تربية الطفل أمرا واجب على الوالدين ويتساوى هذا الأمر مع الولد والبنت على السواء، وهذا يعني أن الشريعة تلعب دورا كبيرا في تزكية النفوس.

وقد قام مسكويه بدراسة النفس عند الطفل وما فيها من ملذات إذ قيل في ذلك "إن نفس الصبي ساذجة لم تنقش بعد بصورة، وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء الى شيء".[2]

فنفس الطفل هنا كصفحة بيضاء لم يرسم عليها ولم ينقش عليها شيء يغيرها، وذلك أن الطفل غير متمرس في الحياة ولا يملك الخبرة الكافية لإدراك الأمور بدقة وأنه لم يتم تشكيل شخصية بعد.

- في صياغة مسكويه تحديد لتربية الطفل فيقول: " وهذه الآداب النافعة للصبيان، وهي للكبار من الناس أيضا نافعة ولكنها للأحداث أنفع لأنها تعودهم محبة الفضائل وينشؤون عليها " [3]
- فتربية الطفل لا تقف عند حد زمني معين وإنما هي عملية مستمرة تشمل الإنسان من الصبا الى الكبر، فهي نافعة تقودهم نحو الفضائل فينشؤون على حياة الفضيلة ويتعودون عليها.

ويقول مسكويه: " لذلك قلنا أول ما ينبغي أن ينغرس في الصبي ويستدل به على عقله...فإذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحييا مطرفا بطرفة الى الأرض غير وقاحة الوجه ولا محدق إليك، فهو أول دليل على نجاته...وأن حياءه هو انحصار نفسه خوفا من..." [4]

فالحياء هو أول دليل على ذكاء الصبي وحسن تربيته؛ فالوقاحة تدل على القبح والحياء يدل على النجابة والجمال؛ وهذه النفس التي تتميز بالحياء صالحة للعناية يجب أن لا تخالط من يفسدها، وبهذه الحالة فهي مستعدة لقبول الفضيلة.

وقد قال مسكويه أحوج الصبيان الى هذا الأدب أولاد الأغنياء وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يصرخ ولا يستشفع بأحد فإن هذا فعل المماليك ومن هو خوار ضعيف.[5]

---

[1] حديث شريف: الراوي: أم عاصم، المستحدث: الألباني، المصدر: ضعيف الترميذي، ص1804.

[2] زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، كلمات عربية للترجمة والنشر (د.ط)، القاهرة، (د س)، ص80.

[3] ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق، مصدر سابق، ص206

[4] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص48.

[5] المصدر نفسه، ص53.

فالاستنجاد بالغير من عمل الضعفاء ولا يعود على الصبيان الا القبيح والسيء من الأدب، فتعود الطفل على طاعة والديه ومعلميه هي آداب نافعة سواء له حتى للكبار من الناس لأنها تعودهم محبة الفضائل.

- في تأديب الصبيان هناك مراحل يمر بها الطفل، فأول القوى التي تنشأ في نفس الطفل هي قوة الإحساس حتى تتشكل على شكل قوة بهيمة، ثم تبدأ القوة الغضبية بالظهور وذلك لحفظ بقاءه فيرى مسكويه في هذا الصدد

أول ما يتكون هي القوة التي يشتاق بها الى الغداء الذي هو سبب كونه حيا، فيتحرك بالطبع الى اللبن يلتمسه من الثدي ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله...ثم تظهر فيه قوة الغضب الذي يشتاق بها الى دفع ما يؤذيه...وبعدها تبدأ القوة العاقلة التي تميز الإنسان وذلك بالحياء الذي نراه في سلوك الطفل[1]

- هنا مسكويه يشير الى تكوين الطفل وتطوره، حيث يظهر أول ما يحتاجه للبقاء على قيد الحياة وهو الغداء ويلاحظ هذا في سلوك الرضع الذين يتحركون بشكل طبيعي الى الثدي للحصول على اللبن ثم يتطور ليدفع عنه ما يؤذيه ليدافع عن نفسه وعن حقوقه، ثم يتطور الى ظهور القوة العاقلة وهذا ما يكسبه مهارات للتفاعل مع الآخرين ويميز بين الصحيح والخطأ، وذلك بظهور الحياء الذي يقوده الى السلوك الصحيح وتجنب السلوك الخاطئ عن الأدب واكتساب الأخلاق بالنسبة للطفل قال مسكويه: " ان الصبي في ابتداء نشوؤه يكون على الأكثر قبيح الأفعال إما كلها وإما أكثرها، فإنه يكون كذوبا وبخير ويحكي ما لم يسمعه ولم يره ويكون حسودا سروقا تماما لحوحا ذا فضول أضر شيء بنفسه وبكل أمر يلابسه، ثم لا يزال به التأديب والسنن والتجار حتى ينتقل في أحوال بعد أحوال فلذلك ينبغي أن يؤخذ مادام طفلا بما ذكرناه وبذكره..." [2]

[1] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، مصدر سابق، ص47.

[2] تهذيب الأخلاق ابن مسكويه، مرجع سابق، ص ص 28، 29. Topdf: http: //www.al-mostaf.com

وذلك يعني أن الطفل في بداية تكونه يميل الى السلوكيات الخاطئة وذلك بسبب فضولهم الزائد، لذلك يجب على الوالدين والمعلمين توجيه الطفل وتدريبه الى السلوكيات الصحيحة وتحفيزه على اكتساب القيم الإيجابية، وهذا يعني أن حسن التربية يجب أن يكون منذ نشوء الطفل قبل اكتسابه للعادات السيئة فيضر نفسه ومن حوله

- أما عن أدب الصبيان فقال مسكويه: " فأما الصبي فلا حاجة به الى اليمين ويعود قلة الكلام إلا جوابا، وإذا حظر من هو أكثر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له، ويمنع من خبيث الكلام وهجيته ومن السب واللعن والقول، ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمة ولا يرخص له أن يستمع لأضدادها من غيره ويعود خدمة نفسه ومعلمة وكل من كان أكبر منه " [1]

- ذلك يعني أن الصبي لا يحتاج الى الحق في الإثبات، وأن كلامه يعتبر موضوعا للثقة والاعتماد عليه، ويجب أن يتحلى الصبي بالصمت دون الخوض في الكثير من الحوارات.
- لأن الصمت أحيانا أفضل من الكلام، وأن الصبي يجب أن يتحلى بالقليل من الكلام ويقتصر على الإجابة فقط وهذا يعكس التواضع والاحترام للآخرين.
- وقد قال مسكويه عن اكتساب السلوك الخلقي أنه على الأطفال المسارعة الى تعلمه والحرص على اكتسابه " فإن أخلاقهم تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يرونها بروية ولا فكر كما يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشوئه وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح منه فيخفيه بضروب من الحيل والأفعال المضادة كما في طبعه..." [2]
- فالإنسان الناضج اكتمل نشوؤه عكس الأطفال، فأخلاقهم تظهر فيهم منذ بداية نشوئهم فتكتسب أخلاقهم وآدابهم وذلك بالمسارعة الى تلقيها وتشاهد فيهم فيقول " وأنت تتأمل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الأدب أو نفورهم عنه أو ما يظهر في بعضهم من القمة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى من الجود والبخل...أنهم ليسوا على مرتبة واحدة وأن فيهم ما

[1] ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق، مصدر سابق، ص30.

[2] محمد حمزة سليماني، عبد المنان ملا معمور بار: الخلق متطور تربوي نفسي لدى كل من ابن مسكويه والغزالي، مرجع سابق، ص106.

ترى فيهم من الجود والبخل...أنهم ليسوا على مرتبة واحدة وأن فيهم المتواني والممتنع والسهل والسلس...والمتوسطون بين هذه الأطراف في مراتب لا تحصى كثرة " [1]

وهذا يعني أن أخلاق الصبيان متفاوتة وكذلك مدى استعدادهم لقبول الأدب والنفور منه، فمنهم من هو خير ومن بداية نشوئه نرى فيه الأدب والنجابة، ومنهم من هو شرير فض وبين هذه الفئتين هناك فئة متوسطة ويسعى ويجتهد الى تعلم الفضائل.

بالإضافة الى قول مسكويه في آداب التربية لصبيان " لأنهم أطرى عودا وأمرن طباعا ولذلك يسهل طبعهم بالعوائد الحسنة".[2]

- حيث يوضح ابن مسكويه أهمية تنشئة وتربية الأحداث على السلوك الأخلاقي والآداب والفضيلة، فالأطفال يأخذون العادات ويتعلمون الأخلاق والقيم من حولهم، إذ أن تعليمهم الأمور الصحيحة والإيجابية منذ الصغر، سيسهل طبعهم بالعوائد الحسنة وسيكون لديهم طابع وسلوكيات حميدة ومثالية.
- أما من لم ينشأ منذ الصغر على المنهج التربوي الذي وصفه مسكويه بل على عكسه من مجون وفجور ومغالاة في إشباع اللذات فعلية أن يعتبر ذلك شقاء لا نعيما وخسرانا لا ربحا، مما يتطلب منه أن يجتهد الى نظام نفسه منها بالتدريج..." [3]

اهتم مسكويه بتربية الطفل وأهمية السلوك الأخلاقي لدى الأطفال حتى يصل الفضيلة حيث ركز على تعليم الأطفال منذ بدء نشوؤهم على أنماط السلوك الذي يعود عليهم وعلى من حولهم بالمنفعة.

[1] محمد حمزة سليماني،عبد المنان ملا معمور بار، مرجع سابق، ص ص106– 107.

[2] المرجع نفسه، ص114.

[3] مصطفى عشوي، الإنسان والكمال في فكر مسكويه، مرجع سابق، ص11.

➢ المبحث الثاني: الصداقة، الخوف من الموت، الاستدلال على وجود الله وعلاقته بالأخلاق.

• المطلب الأول: الصداقة والمحبة.

إن الصداقة واحدة من أعظم الروابط الإنسانية التي يرغب الإنسان دائما في وجودها بحياته، وتعرف الصداقة بأنها رابطة المودة الإخلاص بين شخصين أو أكثر كل منهم يشعر بحب كبير اتجاه الآخر.

فالصداقة نعمة جميلة تتردد في حياة الانسان ولأهمية الموضوع وارتباطه ارتباطا وثيقا بالأخلاق، أفرد ابن مسكويه فصلا كاملا في كتابه " تهذيب الأخلاق " عن الصداقة والصديق.

ينطلق ابن مسكويه في معالجة الموضوع الى اعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فيقول: " إن الانسان مدني بطبعه وأننا نحتاج الى الآخرين كي نسد النقصانات التي فينا، وحاجتنا الى تمام الحوادث التي تعرض لنا من الكون والفساد " [1]

فالإنسان يحتاج الى العيش مع الآخر في تجاذب وتكامل، وهو يحاول دائما بناء نسيج من العلاقات الاجتماعية بحكم ما تفرضه عليه طبيعته الإنسانية فيلجأ الى الصداقة التي تجمعه مع الآخر، وابن مسكويه لا يفرق بين الصداقة والمحبة " الصداقة والمحبة تعني معنى واحد ولا يرد بالمحبة العشق " [2]وفي موضع آخر يعتبر الصداقة هي عبارة عن نوع من أنواع المحبة

يقول: " الصداقة نوع من المحبة إلا أنها أخص منها، وهي المودة بعينها، وليس يمكن أن تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة، وأما العشق فهو إفراط في المحبة وهو أخص من المودة، وذلك لأنه لا يمكن أن يقع إلا بين اثنين فقط " [3]

---

[1] ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص ،127.

[2] المرجع نفسه: ص، 127.

1-ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص ،361.

إن الصداقة حسب رأي ابن مسكويه ضرورية في الحياة، فكما أن الإنسان لا يستطيع العيش منفردا ومنعزلا عن المجتمع وعن الآخر، فهو لا يستطيع أن يستغني عن الأصدقاء، فمسكويه يرى أن كل إنسان يجد تمام كماله مع صاحبه، لأن الإنسان مطبوع على النقصان ولهذا دعا الى ضرورة التعاون مع الآخر من أجل تحقيق التكامل .

ويخلص مسكويه الى أن الضرورة داعية إلى مثل هذا الحال يقول: " إن الضرورة داعية إلى حال تجمع وتؤلف بين أشتات أشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع أعضاؤه كله على الفعل الواحد النافع له".[1]

فالصداقة تجمع بين الأشخاص حتى يصبحون كالجسد الواحد في محبتهم، وتختلف الصداقة باختلاف ما ينعقد بينهم ولهذا حدد لنا ابن مسكويه أنواع الصداقة والمحبة فيما يلي:

" النوع الأول: ما ينعقد سريعا وينحل سريعا

النوع الثاني: ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا

النوع الثالث: ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا

النوع الرابع: ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا ".[2]

إن هذه المحبات تحصل بين الناس وهي تختلف وتتنوع على حسب درجة الانعقاد، وهذا ما يجعلها تأتي في مراتب مختلفة.

" فالمحبة التي سببها الخير تنعقد سريعا وتنحل بطيئا، واما المحبة التي بسبب النافع فهي تنعقد بطيئا وتنحل سريعا، وأما عن الذي تتركب من هذه إذا كان الخير فإنها تنحل بطيئا وتنعقد بطيئا".[3]

---

[1] ناجي التكريتي: فلسفة الاخلاق بين أرسطو ومسكويه، مرجع سابق، ص ،127.

[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص، 460.

[3] المصدر نفسه، ص ،461.

فالمحبة التي تكون على أساس اللذة تنتهي بزوال هذه اللذة، فمثلا اللذة المشتركة بين الرجل والمرأة هي بسبب المحبة بينهما على الرغم من وجود خبرات ومنافع مختلطة بين الرجل وزوجته فهما تعاونان على الخيرات ويعمران المنزل، وإن قصر أحدهما على الآخر اختلفت المحبة وتقطعت الصلة بينهما.[1]

ويوضح ابن مسكويه في مثال آخر عن المحبة التي تجمعها أسباب مختلفة، إذ يقول عنها أيضا أنها سريعة التحلل مثل محبة أحد المتحابين من أجل المحبة، ومحبة الآخر من أجل اللذة كالمحبة التي تجمع بين المغني والمستمع، فكلاهما يحب الآخر من أجل اللذة أو المنفعة، فالمغني يحب المستمع للمنفعة والمستمع يحب المغني لأجل اللذة وكذلك الحال بالنسبة للعاشق والمعشوق فأحدهما يلتذ بالنظر والآخر ينتظر المتعة.[2]

أما عن نوع آخر فسماه مسكويه المحبة اللوامة، الذي يرى فيها أن كلا الطرفين يشعر بأن الآخر مقصر في حقه حتى يحدث الظلم والشكايات، أما عن محبة الأخيار فيراها ابن مسكويه أنها لا تكون من أجل اللذة أو المنفعة، بل يكون هدفها تحقيق الخير والفضيلة بين الصديقين، وبالتالي لا يحدث فيها اية مخالفات ولا نزاعات [3]

وجملة هذه المحبات جميعا، تنعقد بين الناس خاصة لأنها تحدث بالإرادة والروية وتكون فيها مجازات ومكافأة، كما يؤكد أيضا أن كل أنواع المحبات تزول ويزول أثرها إلا المحبة الإلهية فهي باقية لا تزول يقول: " عندما يصف الجوهر الإلهي في الإنسان ويتخلص من أصناف الشهوات، فيشتاق الى شبيهه ويرى بعين عقله الخير الأول المحض الذي لا تشوبه مادة (.....) وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الأول عليه، فيتلذذ به لذة لا تشبهها لذة ويصير الى الاتحاد التام " [4]

[1] _ ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو وابن مسكويه، مرجع سابق، ص، 141.

[2] _ المرجع نفسه، ص ، 148.

[3] _ المرجع نفسه، ص ،149 .

[4] _ المرجع نفسه ، ص ، 146 .

ونظرا لأهمية المحبة في حياتنا الاجتماعية والإنسانية، فقد ركز ابن مسكويه عليها والتي يرى فيها الاتحاد الذي يجمع بين الصديقين، وهذا الأخير الذي يراه مسكويه حاجة ماسة لكل إنسان يقول: " فالإنسان يحتاج الى صديق عند حسن الحال، وذلك أن الإنسان عند سوء الحال يحتاج الى معونة الأصدقاء وعند سوء الحال يحتاج الى المؤانسة " [1]

فلما كان الإنسان حسب مسكويه صديقا بالطبع، فإن سعادته لا تتم إلا عند وجود أصدقائه، فمن المحال أن يصل الإنسان الى السعادة بالتفرد وبالوحدة، والسعيد من الناس من اكتسب الأصدقاء وسعد بهم " [2]

ومن حاجتنا الماسة الى وجود صديق في حياتنا، فإن مسكويه يعطي جملة من النصائح في اختيار هذا الصديق، فيحث على إفادة الصديق وأن لا يبخل عليه بشيء، فإن كان الإنسان متحلي بالعلم والأدب عليه أن يفيد صديقه ولا يبخل عليه " ينبغي للصديق الحق أن يديم الذكر الجميل لصديقه، وأن يذكر مواقفه اللطيفة وليحذر أن يذكر أي عيب يراه في صديقه، لأن ذكر المحاسن فضيلة وذكر المثالب رذيلة " [3]كما يحذر ابن مسكويه من الاستماع الى النصيحة التي يقدمها الأشرار الذين يدخلون بين الأخيار فيبغض الأصدقاء بعضهم بعضا.

وفي هذا الشأن يقول: واحذر عداوة من صادقته أو خالطه مخالطة الصديق ثم يستشهد من قول أحد الشعراء وهو أبو العلاء المعري

"عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب " [4]

[1] ___ ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو وابن مسكويه، مرجع سابق: ص ،128.

[2] _ المرجع نفسه: ص ، 128.

[3] _ ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص،366.

[4] _المصدر نفسه ، ص ،69.

ومن هذا المنطلق يدعوا ابن مسكويه الى ضرورة إقامة الفضائل الخلقية، وذلك من خلال المعاشرات والمعاملات التي تحدث بين الأصدقاء، كما ينصح أيضا على ضرورة التأني في حسن اختيار الأصدقاء وأن لا يكثر الإنسان منهم لصعوبة الوفاء بحقوقهم جميعا، فهو ينصح في ضرورة التبصر في اختيار أخلاق الآخرين والابتعاد عن الذين يميلون الى اللذات والتعالي واللهو والمجون يقول ابن مسكويه: " فإن وجد الانسان شخصا بريئا من هذه الخلال، فليتخذه صديقا وليحتفظ به وليرغب فيه وليكتف بواحد فإن الكمال عزيز " .[1] يؤكد ابن مسكويه ان الصديق الحق، هو الذي تسره مسراتك وتحزنه أحزانك، وان الصديق الحق هو الذي يريد الخير لصديقه، وأن الرجل الخير هو الذي يفعل الخير مع صديقه كما يفعله مع ذاته والصداقة الوحيدة الباقية هي تللك التي تتوافق مع الأخلاق [2]، وينصح مسكويه أيضا أن لا يتبع الصديق عيوب صديقه، فكل إنسان في هذا الكون لا يخلو من المعايب فلا وجود لإنسان كامل، والصديق الذي يتبع صديقه في كل صغار معايبه لا يبقى له أي صديق، ويعيش بذلك وحيدا منعزلا، فعلى الصديق أن يشارك صديقه في وقت الرخاء، أما عن مشاركته في وقت الضراء فهي أوجب، أما المواساة فلا بد أن تكون بالنفس والمال والأعظم من هذا أن لا يسأل الصديق صديقه إذا أحتاجه تصريحا أو تعريضا، بل على الصديق أن يطلع على دواخل صديقه ويخفف عنه بقدر استطاعته.[3]

فالصديق الحقيقي يكون وقت الضيق والأزمات، يشعر بصديقه قبل أن يعبر بلسانه يسكن فؤاده ويخفف عنه آلامه وأحزانه بقدر المستطاع.

- ان ما يدعوا إليه ابن مسكويه من ضرورة التحلي بروح الصداقة واختيار الصديق قد استوحاه من الشريعة السمحاء ومن الدين الإسلامي يقول في ذلك: " والشريعة إنما أوجبت على الناس أن يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات، وفضلت صلاة الجمعة على صلاة الآحاد

[1] _ ناجي التكريتي: الأخلاق بين أرسطو وابن مسكويه، مرجع سابق، ص، 151.

[2] _ ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، المصدر السابق، ص، 367.

[3] _ المرجع السابق، ص، 169.

ليحصل لهم الأنس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم يتأكد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم".[1]

ثم أوجب ابن مسكويه أيضا أن يجتمع أهل المدينة مع أهل القرى والرساتيق المتقاربين، في كل سنة مرتين في المصلى حتى يحصل لهم الأنس والمحبة الناظمة بينهم.

ثم اوجب بعد ذلك أن يجتمعوا في العمر كله مرة واحدة في المكان المقدس (مكة المكرمة) ولم يعين من العمر وقتا مخصصا يقول: " وليجتمع أهل المدن المتباعدة كما اجتمع أهل المدينة الواحدة، ويصير حالهم في الأنس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين في كل سنة، وفي كل أسبوع وفي كل يوم، فيجتمعوا الى الأنس الطبيعي والى الخيرات المشتركة، وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم ويغبطوا بالدين القويم الذي ألفهم على تقوى الله وطاعته " [2]

إن ما نخلص إليه في الأخير أن الصداقة والمحبة من الخصال الحميدة والفضائل السامية، التي ينبغي التحلي والتمسك بها، لأن صلاح بناء العلاقات ينطلق من صلاح النفوس، وبصلاح هذه الأخيرة تحصل السعادة والخير وتتحقق جميع الفضائل.

- **المطلب الثاني: الخوف من الموت وطرق علاجه.**

ان الموت جزء جوهري في حياة الانسان، وهو الحقيقة الكبرى التي لا مفر منها وهو موقف رهيب مكتوب على كل حي في هذه الدنيا على كل مسلم أو كافر، كما يعد الموت أيضا من الأمراض التي تصيب النفس فتهلكها، ولأهمية هذه الرحلة الكبرى نجد ابن مسكويه قد أولى اهتماما كبيرا له في الحديث عن أسبابه أهم أسبابه، وطرق علاجه ومحاولة التخلص من هذه الظاهرة النفسية المرضية.

[1] _ ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص ،67.

[2] _ المصدر نفسه: ص ،68.

عرف ابن مسكويه الموت بقوله: " سكون للنفس عندما يجب أن تتحرك فيه، وبطلان شهوة الانتقام، وهذا هو سبب الجور ويتبعه مهانة النفس وسوء العيش وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات " [1]

فمن عواقب الخوف، الكسل ومحبة الراحة اللذين هما سبب كل رذيلة، ومن عواقبه أيضا الإستخذاء لكل أحد والرضى بكل مذلة وضيم، والدخول تحت كل فضيحة في النفس والأهل والمال، وأيضا سماع كل قبيحة وفاحشة من شتم وقذف واحتمال الظلم من كل معامل وقلة الأنفة.[2]

لقد ربط ابن مسكويه الخوف وما يأتيه من العواقب بالسلوك اللاأخلاقي، فهو يوقع الانسان في كثير من الرذائل، ولما كانت له الكثير من العواقب فقد وصف له ابن مسكويه جملة من الطرق العلاجية تمثلت في:

- عرضية مشكلة الخوف، فلا بد من نفي الطابع الضروري والإلزامي عنه، فالخوف من الموت في الزمن المستقبل خوف في غير موضعه فعلى الانسان أن يخشى مما هو في موضعه وضروري لا مما هو في غير موضعه[3] يقول مسكويه في هذا: " واما علاج الخوف (....) فيكون بإدراك أن التوقع والانتظار إما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة او يسيرة، وربما كانت ضرورية أو ممكنة وربما كانت تحت أسبابها " [4]

[1] _ ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص ،419.

[2] _ مصطفى عشوي: الانسان والكمال في فكر مسكويه، مرجع سابق، ص، 19.

[3] _ المرجع نفسه ، ص ،19.

[4] _ ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص، 422.

أما عن الأمور الممكنة فهي مترجحة بين ان تقع وبين ألا تقع، ولا ينبغي للإنسان ان يجزم على أنها تقع، فيستشعر الخوف منها ويتعجل مكروه التألم بها وهي حتى لم تقع ولعلها لا تقع أبدا.[1]

من هنا ألح مسكويه على ضرورة التفاؤل، والتمسك بالأمل، والظن الجميل، وترك التفكر في كل مالا يمكن أن يقع من المكاره، وأما عن الأمور الضرورية التي لا يمكن إلا أن تقع في المستقبل كالهرم مثلا، والشيخوخة وكل توابعه فإن علاج الخوف من هذه الحالات، هو أن يعلم الانسان أنه إذا أحب الحياة فلا بد لا محالة أن يحب الهرم ويستشعره استشعارا، مع كل ما يحدث من مشكلات صحية تابعة له من سقوط الأسنان وسوء الهضم، وكل أمراض الشيخوخة التي تليها لا محالة فيها بعد الموت، وعلى الانسان في هذه الحالة أن يدعو الله أن يعينه ويقدره ويمنح له القوة والصبر [2]

كما أن المحب للحياة محب بالضرورة للآلام والأمراض، وحب طول الحياة من جهة وكراهية الأمراض والآلام من جهة تعد من الأمور المتناقضة، والمتناقضان لا يجتمعان في جهة واحدة وفي الوقت نفسه، ولذلك على العاقل العالم بأسباب الخوف أن لا يخافها لكونها دلالات انفعال وغياب العقل، وعلاجها يكون بحسن ادراك الأسباب والتصالح مع الضروري وتجنب الخوف في ما يمكن وقوعه بأسباب خارجة عن إرادة الانسان [3]

ولما كان الخوف من الموت من أكبر ما يحدث للفرد، وهو أكبر مخاوفه كما يرى مسكويه: " أشد وأعظم من جميع المخاوف " [4]

[1] _ _ مصطفى عشوي: الانسان والكمال في فكر مسكويه، المرجع السابق: ص،20.

[2] _https: // www.mominoun.com /pdf 1/2017 01/miskwiih.p: 3

[3] _ المرجع نفسه، ص 03.

[4] –المرجع سابق، ص 19.

لأنه أعظم ما يصيب الانسان وأشده وأبلغه زيادة على كونه أيضا حقيقة جوهره، ونظرا لأهميته فقد وضع له ابن مسكويه علاجا هو الآخر، ولكن قبل هذا لا بد أن نتعرف على أسباب الخوف من الموت التي هي:

- يقع الخوف من الموت للشخص الذي لا يعرف حقيقة الموت يقول مسكويه: " إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن لا يدري ما الموت على حقيقته " [1]
- يقع الخوف من الموت للشخص الذي لا يعلم أين تصير نفسه بعد الموت، وأنه إذا انحل جسمه انحلت ذاته وبطلت نفسه وصار الى العدم، بينما يبقى العالم بعده موجودا، وهذا ظن كل من يجهل بقاء النفس وكيفية الميعاد[2]

- يقول: " ....ولأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور، وأن العالم سيبقى موجودا وليس هو بموجود فيه " [3]

يحصل الخوف من الموت أيضا للإنسان الذي يظن أن للموت ألما غير لم الأمراض التي ربما سبقته في حياته، وأن هناك عقوبة تحل به بعد الموت[4]

يقول مسكويه: " ...وأنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض...ولأنه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت " [5]

- كما يحصل الخوف أيضا للشخص الذي لا يدري على اية شيء يقدم بعد الموت كما يتأسف على ما يخلفه من المال، والممتلكات، والأهل والولد، فكل هذه الأسباب يراها ابن مسكويه " ظنون باطلة لا حقيقة لها " [6]

---

[1]– ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص، 425.

[2]– مصطفى عشوي: الانسان والكمال في فكر مسكويه ، مرجع سابق: ص 21.

[3]_ المصدر سابق: ص425.

[4]_المرجع سابق، ص 22.

[5]_ المصدر سابق، ص 425.

[6]_ المرجع سابق، ص 23.

وعليه يقترح علاجا لهذا الخوف وفيه الكثير من التبصر، والتبين وتكوين صورة حقيقية عن فكرة الموت وما بعد الموت

- **العلاج:**

ينبغي أن يعرف الانسان أن الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس، وترك استعمال آلاته (أعضائه) التي تكون البدن كما يترك الصانع آلاته [1]

يقول ابن مسكويه في هذا الشأن: " إن الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها، وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنا، كما يترك الصانع استعمال آلاته " [2]

فالإنسان انسان بنفسه لا ببدنه فالنفس هي جوهره، فمسكويه يشبه النفس بالصانع والبدن بالآلات التي يحتاجها في صناعته، فالصانع يستطيع أن يستغني عن آلاته ولا يستعملها، كذلك بالنسبة للموت فحقيقته ليست سوى مفارقة البدن للنفس، وبالتالي فالنفس جوهر غير جسماني وأنها غير قابلة للفساد والعدم، وقد قدم مسكويه مثالا توضيحيا لهذه الفكرة فيقول:

" فتحول الماء الى بخار وهواء، وتحول الهواء الى ماء أو نار ولكن الجوهر باق دائما، فكيف يحدث ذلك للجوهر (النفس) التي لا تقبل التغير أو الاستحالة في ذاته " [3].

إذن النفس جوهر غير جسماني وغير قابل للفساد أو التغير.

- ينبغي أن يعلم الإنسان أن مفارقة النفس للبدن لا ألم له، لأن البدن إنما كان يحس ويتألم بالنفس فالجسم بلا نفس لا حس له ولا ألم يقول: " الألم إنما يكون للحي، والحي هو القابل أثر النفس، أما الجسم الذي ليس فيه أثر فإنه لا يألم ولا يحس " [4].

فالألم يحدث فقط للجسم الذي يحمل النفس، أي للكائن الحي العاقل الذي يتنفس

---

[1]_ مصطفى عشوي: الانسان والكمال في فكر مسكويه ،المرجع السابق: ص23 .

[2]_ المرجع نفسه: ص24 .

[3]– المرجع نفسه: ص24.

[4]_ ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق، مصدر سابق، ص174.

- الجهل بحقيقة الموت هو المخوف الأكبر، ولما كان هذا الأمر فلا بد من الجهد في طلب العلم، وتحصيل المعرفة للقضاء عليه فينبغي للإنسان أن يعرف أن الموت هو تمام حد الإنسان لأنه كائن حي ناطق مائت لا محالة، فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى أفقه الأعلى، أما الخوف من العقاب فهذا يكون على شيء باق بعد البدن الداثر، وهذا النوع من الأشخاص خائف من ذنوبه وآثامه وليس من الموت، وهذا النوع عليه أن يلتزم طريق الفضائل وتجنب الرذائل، لأن الذي يخاف يسلك الطريق المستقيم، فيتعلم ليعلم وأن يتمسك بدينه حتى يعرف طريق السعادة[1]
- يقول مسكويه في هذا الشأن: " علاج الجهل العلم، ومن علم وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة (....) ومن سلك طريقا مستقيما الى غرض صحيح، أفضى اليه بلا شك ولا مرية وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حالة المستبصر في دينه والمستمسك بحكمته".[2]
- أما عن الإنسان الذي يحزن على فراق الأهل، والمال والأحبة فعليه أن يعلم أن الحزن مكروه وغير محبب وهو يسبب الألم وبالتالي يجب اجتنابه، ويعود السبب الرئيسي في الخوف من الموت مما يخلفه الإنسان بعد الموت، ورغبة الإنسان للحياة والخلود الأبدي فيها، وهذه الحالات كما يرى مسكويه يعود سببها الى: " اشتهاء الخلود وحب الحياة وكراهية الموت، ومن ظن أن هذه الحالات ممكنة وغير ممتنعة، فإن ذلك ليس إلا جهلا وغباوة".[3]

فالإنسان يجب أن يدرك أن الحياة فانية، لا ينفع فيها مال ولا بنون وأن البقاء لله فقط ويختم ابن مسكويه اقتراحاته العلاجية بقوله: " إن كل كائن فاسد لا محالة (...) " لو لم يمت أسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود الينا، ولو جاز للإنسان أن يبقى لبقي من تقدمنا ولو بقي الإنسان على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض " [4].

[1]– مصطفى عشوي: الانسان والكمال في فكر مسكويه، مرجع سابق، ص، 23.

[2]– ابن مسكويه :تهذيب الأخلاق ،المصدر السابق: ص 177.

[3]– المصدر نفسه، ص، 179.

[4]– المصدر السابق، ص، 178.

إن ما نخلص اليه في الأخير، أن من أهم أسباب الخوف جهل الإنسان بحقيقته وحقيقة الموت، ولما كان لا مجال لعلاج الجهل سوى العلم، فإنه لا خلاص من هذا المرض سوى اتباع طريق صعب ووعر، ويتمثل هذا الطريق في الانكباب على تحصيل العلم والمعرفة باعتباره السبيل الوحيد للتخلص من الجهل الذي هو آفة ومرض تصيب النفس، مما يحول على الإنسان دون تحقيق الفضائل وتجنب الرذائل وبلوغ مراتب السعادة القصوى.

- **المطلب الثالث: طبيعة الاستدلال على وجود الله.**

لقد اهتم ابن مسكويه كثيرا بمسألة وجود الله في فلسفته الميتافيزيقية، وخصص له كتاب بعنوان " الفوز الأصغر " الذي يحتوي هذه المسألة في ثلاثة مسائل في ثلاثين فصلا وفي كل مسألة عشرة فصول ففي المسألة الأولى عالج فيها مشكلة إثبات الله بإقامة أدلة عقلية، وهذا ما سنركز عليه، أما الفصلين الآخرين فالأول كان مخصصا لاتفاق الأوائل في إثبات الصانع، أما الثالث فيتعلق حول مسألة وجود الأشياء وكيف أنها تعود الى الله عز وجل.[1]

لقد ركز ابن مسكويه في إثبات وجود الله على نوع من البراهين وهو البرهان الأرسطي الذي يعتمد على مبدأ الحركة في الاستدلال على وجود الصانع كمحرك أول يحرك ولا يتحرك، ينطلق ابن مسكويه من فكرة مفادها أن " لكل جسم طبيعي حركة تخصه وذلك الجسم ما كان منه موجودا أو كان منه متكونا فإنما قوامه بصورته الخاصة به هي المقومة لذاته، وصورته الخاصة به هي المقومة لذاته وذلك هي طبيعته وتمام كل شيء (.....) ولذلك صار الاستدلال بالحركة أظهر الأشياء وأولاها بالدلالة على الصانع جل ذكره "" .[2]

لقد تكلم ابن مسكويه عن الاستدلال بالحركة في ستة أشياء (حركة الكون، الفساد، النمو، النقصان، الاستحالة، النقلة) وتعني هذه الأشياء: " الفساد: التحلل والعدم، النمو: الزيادة في الجرم

[1] محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، مرجع سابق، ص، 316.

[2] كامل محمد محمد عويصة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، مرجع سابق، ص، 91.

(الربو) أي الزيادة في الكم، النقصان: الاضمحلال أو تناقض جرم الموجود، الاستحالة: حركة يقصد بها التغير من الكيف (الصفات) والنقلة: المقصود بها الحركة من مكان الى آخر".[1]

يعتمد ابن مسكويه على عملية الاستقراء في تتبع مصدر الحركة بين الجرم الطبيعي فيقول: " إنه لا يخلو الجرم المتحرك أن يكون حي أو غير حي (....) فيبقي ابن مسكويه المصدر الذاتي للحركة من وجهتين: الأول: لو كانت حركته من ذاته لكنا إذا نزعنا جزءا من أجزائه الشريفة حركة الجرم وحركة الجزء المنتزع جميعا، وهذا يعني أن ذلك الجرم الحي ليس هو المحرك بل غيره، أما الثاني أن الحيوان يتحرك بالشهوة أو بالكراهية وفي كل الأحوال فمحركه غيره " [2]

فيصل مسكويه الى فكرة مفادها: " المتحرك بإرادة إنما يحركه الشيء المراد " [3]

ومن هنا يدعو ابن مسكويه الى ضرورة تأمل العالم وتركيبه، وما فيه من قوى كثيرة مدبرة له، وحتى الانسان لا بد له من تأمل ذاته بما فيها من قوى تشبه في اتصالها من عالمه الى العوالم الأخرى، فإذا حصل هذا التأمل انتهى الإنسان الى الإقرار بالواحد الذي لا كثرة فيه ولا علة له.[4]

إن الأجرام السماوية لخير دليل واضح وصريح على إثبات الصانع يقول: " إن الأجسام الطبيعية أقرب الأشياء التي نبحث فيها....ولذلك نحسها بالحواس الخمس " [5]

[1]– كامل محمد محمد عويصة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية المرجع السابق ،ص، 91.

[2]– علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية والإلهية، مرجع سابق، ص، 264.

[3]– المرجع نفسه، ص، 264 .

[4]–المرجع نفسه، ص 231 .

[5]–ابن مسكويه: الفوز الأصغر، مصدر سابق، ص ،46 .

لأن الإحساس البشري يعتمد أساسا على الحركة، ويوضح مسكويه ذلك في مثال بحاسة السمع فيقول: " إن الهواء الموضوع بتجويف الأذن له اعتدال موافق له، فإذا تغير هواء آخر بطريقة مما فيه حركة واقتراع أحس به الإنسان " [1]

عن الواضح من كل هذا أن الحركة هي الخاصية الأساسية لموضوع هذا الإحساس، أي الجسم الطبيعي، وان لكل جسم طبيعي حركة تخصه.

إن المحور الأساسي لدليل الحركة، هو أن كل محرك يتحرك من محرك غيره وأنه لا وجود لمصدر ذاتي للحركة، ويلح ابن مسكويه على هذه القضية ويعتبرها دعامة أساسية في الاستدلال على وجود الله، كمصدر نهائي لحركة كل متحرك " إن لكل متحرك بحركة من أنواع الحركات محركا سواه، فإن محرك جميع الأشياء غير متحرك(,,,,) وأنه لا يجوز أن يكون المحرك الأول متحركا، لأنه لو كان متحركا كان له محرك ولم يكن أول، وقد قلنا أنه أول فهذا خلق ومن هنا يتبين لنا أنه ليس بجسم " [2]

يعتمد ابن مسكويه على دليل عقلي في إثبات وجود الله الذي يعتبره (المحرك الأول) الذي يحرك الموجودات ولا يتحرك، وينفي أن يكون المحرك الأول جسم، فإذا تبين ذلك يكون بالضرورة له ما يحركه وهذا غير ممكن، واستخدم مسكويه البرهان على أنه المحرك الأول ليس بجسم[3] على النحو التالي:

المحرك الأول ليس بمتحرك ولان عكس السالبة الكلية كلية نقول: " لا شيء من المحرك الأول بمتحرك (....) لا شيء مما يتحرك بمحرك أول (...) ثم يضيف لهذه المقدمة مقدمة أخرى

[1]– ابن مسكويه : الفوز الأصغر ،المصدر السابق، ص 47.

[2]– كامل محمد محمد عويصة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، مرجع سابق، ص، 68.

[3]– علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية والإلهية، مرجع سابق، ص، 264.

قد صححناها، أن كل جسم متحرك فتكون النتيجة: لا شيء من المحرك الأول بجسم: فالمحرك الأول ليس بجسم " [1]

لقد وصل ابن مسكويه عن طريق البرهان العقلي، الى إثبات وحدة الصانع وأنه الواحد يعتبر محرك جميع الموجودات، وأنه المحرك الأول الذي يحرك ولا يتحرك، وكانت غايته من ذلك أي الاستدلال على وجود الله، الوصول الى الكمال الذي هو مرتبط بالفعل الذي لا يشوبه قوة بوجه من الوجوه يقول: " إن كل الموجودات إذا قيست بالله فإنها تكون ناقصة، وهي كلها تستمد كمالها من الله الذي هو كامل بذاته أو هو مصدر الكمال " [2]

ويصل مسكويه من كل هذا الى الإقرار بأن الله هو الخير المطلق وهو الكمال الأكمل وهو اللذة المطلقة الأبدية يقول: " فالله هو الكمال الأكمل، والخير الأكمل ويجب أن يكون سبحانه هو اللذة المطلقة التي هي أبدا لذة بالفعل ولم تكن قط لذة بالقوة، ولذلك لا يتحقق الا أن يكون عاشقا لذاته لا لشيء خارج عن ذاته، إذ لو كان عاشقا لغيره لكان متحركا حركة شوقيه نحو هذا المعشوق، ولذلك يقتضي نقصه كما هو شأن الموجودات الناقصة المتحركة نحوه " [3]

إذن الذات الإلهية لا تتعلق بشيء غير ذاتها وهو الخير المطلق، المعشوق لذاته ويعشقه الكل ولا يعشق هو شيء غير ذاته، وهو الله سبحانه الواحد الأزلي يقول مسكويه: " إنه ليس يمكن أن يكون للعالم أسباب لا ترتقي الى واحد " [4]

ان ما نخلص اليه في الأخير ان ابن مسكويه اعتمد في فلسفته الميتافيزيقية بأدلة عقلية في إثبات وجود الله تعالى واتصافه بصفات تغاير صفات مخلوقاته، وهو في هذه المسألة يؤمن بوجود الله تعالى الواحد الأحد، الأزلي، ويعتبره في ذلك الخير المطلق والكمال الأكمل حتى وإن

---

[1] – علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية والإلهية المرجع السابق ، ص، 68.

[2] –المرجع نفسه: ص، 94 .

[3] – المرجع نفسه، ص، 248 .

[4] – المرجع نفسه، ص 231 .

كانت الأدلة التي استخدمها قد سبقه اليها الكثيرون إلا أنه عرف كيف يضفي عليها طابعه الخاص.

- **خلاصة:**

وكخلاصة مما سبق ذكره يمكن القول أن ابن مسكويه اهتم في فكره التربوي بمجالات عديدة، حيث تأثر بآراء وأفكار الفلاسفة اليونانيين وبالشريعة الإسلامية، كما كانت له نزعة للأخذ من المذاهب الفكرية فلم يقتصر تفكيره على السلوك الخلقي وتربية الطفل فقط، بل وشمل العديد من المجالات من بينها، المجالات الجسمية والنفسية، حيث أشار الى تهذيب أخلاق الإنسان وكيفية بناء علاقات مع الآخر، وإلى كيفية انتقاء الصديق من أجل بناء نسيج اجتماعي قوامه الوصول إلى الفضيلة والابتعاد قدر المستطاع عن الرذيلة، كما أشار ابن مسكويه أيضا إلى بعض الأمراض النفسية كالخوف من الموت الذي اعتبره أكبر وأعظم ما يصيب الإنسان نتيجة جهله وقلة معرفته، لهذا فقد حاول ابن مسكويه تشخيص هذه الحالات المرضية ومحاولة إيجاد حلول علاجية تجنب الإنسان الوقوع في مثل هذه المشاكل وذلك لأجل غاية واحدة هي الوصول الى السعادة القصوى.

الخاتمة

خاتمة:

وجمله ما نخلص اليه في بحثنا هذا المتواضع في دراستنا للأخلاق في فكر مسكويه ان:

- الأخلاق من أهم المواضيع التي شغلت فكر المفكرين منذ القدم، وستظل تشغلهم طالما وجد الانسان واستمرت الحياة، كما اتضح لنا ان الأخلاق علم معياري يصنع المبادئ التي ينبغي ان يكون عليها سلوك الانسان، كما يضع المعايير الصحيحة لتقويم السلوك وتقييمه.
- ان الغاية من تعلم الأخلاق هو معرفة ذواتنا واحترامها، وكيف نحب غيرنا كحبنا لذواتنا، فالأخلاق قريبة الصلة بالإنسان فهي تعلمنا الطريق الذي يجب اتباعه.
- يعد ابن مسكويه اول فيلسوف مسلم بارز درس الأخلاق الفلسفية في وجهه نظر علمية وذلك في كتابه " تهذيب الأخلاق " ، الذي ركز فيه على الأخلاق والمعاملات الشخصية الانسان لقبه البعض " بالمعلم الثالث "
- تنوعت مصادر ابن مسكويه الأخلاقية فجمعت بين نفحات الفلسفة اليونانية واصالة الفكر الإسلامي، وانتجت بذلك مفكر عقلي توفيقي بين الحكمة والشريعة.
- غاية الأخلاق عنده أن تصدر عنا الأفعال الجميلة من غير تكلف ولا تصنع، فالأخلاق تابع للنفس لا للجسد، كما ان الأخلاق قابلة للتغير بحسب الزمان والمكان.
- الفضائل عنده أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، والإنسان يتعلم هذه الفضائل اما من البيعة واما من الشريعة، والخير هو كمال الوجود الذي يتوخاه الانسان.

ينتقد ابن مسكويه الكثير من الآراء الفلسفية القديمة التي تقول بأن الإنسان شرير بطبعه، وانه مجبور على الشرور، وان الخلق طبع لا يمكن تغييره، ويرى أن الإنسان يكتسب الخلق عن طريق التأديب والتعلم.

كما يقدس ابن مسكويه حرية الانسان واختياره بعد علمه المنافع واضرار تلك الأفعال عن طريف التأديب والمواعظ ويؤكد على أن:

- كل خلق يمكن تغييره عن طريق التعلم والمواعظ والتأديب
- كل ما يمكن تغييره ليس بطبع

ابن مسكويه كان محافظا أي انه اطلع على مجموعة من الكتب الفلسفية والأخلاقية والسياسية أيضا.

- اعتبر ابن مسكويه ان النفس هي مصدر الأخلاق، وهذا يعني أنها ذات مرجعية ميتافيزيقية، وهذا يوحي أن لا أخلاق بدون إنسان، ولا انسان بدون أخلاق.
- ان الأخلاق عند ابن مسكويه تحمل أبعادا مثل ميتافيزيقية وسيكيولوجية ومنطقية ووقائية والتي بدورها تجرنا الى ثلاثة مبادئ:

- مبدأ الانسية: حيث اعطى ابن مسكويه قيمة كبيرة للإنسان، وقام بتأسيس مشروع انساني باعتباره كان يمتلك العقل والإرادة والحرية.
- مبدأ التدرج والتراتب هنا بحث مسكويه الى نسبية الأخلاق من كائن لآخر حتى انتهى الى أن الفضيلة أساس وللسعادة أصناف، وهذا ما جعل من فلسفته يصيبها بعض الملل.

مبدأ الأخلاق الاجتماعية: اذ يرى ابن مسكويه ان الإنسان الذي ينعزل وحيدا عن المجتمع هو انسان بدون أخلاق، لأن معرفة الأخلاق مرتبطة أساسا بالغير.

من هنا فإن تحقيق الأخلاق عند ابن مسكويه يعود الى الإنسان باعتباره كائن روحاني متميز.

- إذن الطرح الأخلاقي لمسكويه هو موضوع النجاة والقضاء على التفكك وهذا يبدو واضحا في ربطة الأخلاق بالمجتمع، وكذلك الإنسان الذي اعتمد عليه باعتباره كائن متميز، وان المجتمع هو الذي يحدده، فقط امن بشكل كبير بالغير كونه له القدرة في تحقيق الكمال والسعادة والأخلاق، لان التيار الذي لا يحتاج الى الغير فهو تيار لا عقلاني وبعيد كل البعد عن الاخلاق وهنا يقول ابن مسكويه ان الاخلاق ليست عدم، وإنما هي نتاج المشاركة بين الناس.

قائمة المصادر و المراجع:

- **قائمة المصادر:**

- القرآن الكريم
- الحديث النبوي الشريف

01- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة المعارف، مصر، 1923هـ.

02- ابن مسكويه، السعادة في فلسفة الأخلاق، المدرسة الصناعية الإلزامية، القاهرة، 1335هـ، 1917م.

03- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت لبنان، 1985م.

04- ابن مسكويه، الفوز الأصغر، مطبعة السعادة، مصر، 1325هـ.

05- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد الهلالي، منشورات الجمل، ط01، بغداد بيروت، 2011.

- **<u>قائمة المراجع:</u>**

01- محمد التهناوي كشاف اصطلحات العلوم والفنون، مكتبة لبنان، بيروت، 1996

02- أبو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ج3، دار المعرفة، (د ط)، بيروت،

03- ماجد زكي الجلاد، تعليم القيم وتعلمها، دار المسيرة، عمان، 2007.

04- محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، الكويت، 1982.

05- آريسطو، الأخلاق، تر أحمد لطفي السيد، ج2، نقلا عن الأخلاق لأحمد أمين، بيروت، 1993.

06-توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط2.

07- محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، ط3، الكويت، 1983.

08- محمد يوسف موسى، مباحث فلسفة الأخلاق، مطبعة الأزهر، دار القلم، (د ط)، 1943

09-مصطفى عبدو، فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999.

10- دي بور، تاريخ فلاسفة الإسلام، تر محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د س).

11- محمد محمود صبحي، فلسفة الأخلاق في الإسلام دار النهضة العربية، ط3، بيروت لبنان، 1992.

12- محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، (د ط).

13- زاكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، كلمات عربية للترجمة والنشر، (د ط)، القاهرة.

14- علي عبد المعطي محمد، المدخل الى الفلسفة، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 1999.

15- يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

16- ليون جونييه، مدخل لدراسة الفلسفة، تر محمد يوسف موسى، دار الكتب الاهلية، 1364هـ.

17- ويليام ليلى، مقدمة في علم الأخلاق، تر عبد المعطي محمد، الإسكندرية، 2000.

18- محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي، دار السياقي، ط1، بيروت، 1997.

19- علي إمام عبيد، فلسفة مسكويه الطبيغية والإلهية، دراسة ونقد، الدار الإسلامية، ط1، المنصورة، 2010.

20- كامل محمد محمد عويضة، ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1993.

21- ناجي التكريتي، فلسفة الأخلاق بين آرسطو وابن مسكويه، دار دجلة، (د ط)، عمان، 2012.

22- ناجي التكريتي، الفلسة الأخلاقية، الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1982.

23- سيد علي الطوبجي السويطي، السعادة لإبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، المطبعة العربية، ط2، مصر، 1982.

24- محمد يوسف موسى، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة الإغريقية، (د ط)، مطبعة الأزهر، 1943.

25- محمد حمدي زقزوق، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دار الفكر العربي، (د ط)، 2003.

26- محمود علي الصبيح، السعادة لإبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، المطبعة العربية، ط2، مصر، 1968.

27-محمد أركون : نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي ، دار الساقي ، ط1، بيروت ،1997

- **المجلات:**

01- علي وطفة، الأسس الرمزية والأسطورية لنشأة الأخلاق في سيكولوجيا فرويد، المعرفة السوريا، العدد566، نوفمبر2010.

02- علي وطفة، عقلية العنف، قراءة فلسفية في البعد الأخلاقي، مجلة بناء الأجيال، العدد70-71.

03- حمزة سليماني+ عبد المنان ملا معمور بار، الخلق منظور تربوي نفسي عند ابن مسكويه والغزالي، مجلو جامعة أم القرى، العدد 11، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1995.

04- مصطفى عشوى، الإنسان والكمال في فكر مسكويه، مجلة الراسخون، العدد 13، 2015.

05- حياة بنت سعيد بن عمر با أخضر، النفس عند الفلاسفة الإغريق، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد46، محرم1430.

06- [1] Grawitz madelin lexique des sciences sociales dallos paris 1983

07- ricoeurp avant la loi morale léthique Encyclopedia Universalis les engeux

- **قائمة الموسوعات والمعاجم:**

01- ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، ط1، بيروت، 1990.

02- ابن منظور، لسان العرب، ج10، مادة الخلق.

03- ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت.

04- المعجم الفلسفي، مادة خلق، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

05- الجرجاني، التعريفات، مكتبة دار الكتب العلمية، لبنان.

06- الفيروز ابادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.

07- اندري لالاند، الموسوعة الفلسفية.

08- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر القاهرة، 1983.

09- جميل صليبة، المعجم الفلسفي، ج1، مادة النفس، دار الكتاب اللبناني، (د ط)، بيروت لبنان، 1982.

10- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مادة النفس، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 2007.

- **المحاضرات:**

01-قلامين صباح، محاضرات في فلسفة الأخلاق، سلسة المحاضرات العلمية، جامعة خميس مليانة، عين الدفلى، الجزائر، مايو، 2015.

02- قلامين صباح، محاضرات في فلسفة الأخلاق، سلسلة المحاضرات العلمية، مركز جيل البحث الثالث، لبنان، طرابلس، ماي، 2015.

- **المواقع الإلكترونية:**

01-http: //www.al-mostafa.com، تهذيب الأخلاق إبن مسكويه.

02-http: //wwww.mominoun.com/pdff1/2017/01miskwih.

Contents

مقدمة.....أ

الفصل الأول: مصادر ابن مسكويه الأخلاقية 7

تمهيد 8

المبحث الأول: الأخلاق قبل ابن مسكويه 9

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق.....9

الأخلاق في الفكر الغربي.....9

الأخلاق في الفكر العربي.....11

المطلب الثاني: تعريف علم الأخلاق.....15

المطلب الثالث :تعريف فلسفة الأخلاق..... 22

المبحث الثاني: مصادر ابن مسكويه ومنهجه. 24

االمطلب الأول : مصدره من الفلسفة اليونانية: 28

المطلب الثاني : مصدره من الفلسفة الاسلامية.....32

المطلب الثالث : منهجه 34

خلاصة.....

الفصل الثاني: مباحث الاخلاق عند ابن مسكويه 37

تمهيد.....

المبحث الأول: قوى النفس ومراتب الفضيلة.....39

المطلب الأول: قوى النفس الثلاث 39

المطلب الثاني: مراتب الفضيلة.....45

فضيلة الحكمة.....47

فضيلة الشجاعة..... 48
فضيلة العفة..... 49
فضيلة العدالة..... 50
المبحث الثاني: العدل والسعادة الإنسانية 52
المطلب الأول: العدل والعدالة 52
المطلب الثاني: السعادة وأنواعها 56
خلاصة.....
الفصل الثالث: طبيعة الأخلاق عند ابن مسكويه.....65
تمهيد.....
المبحث الأول: السلوك الخلقي وتربية الطفل عند ابن مسكويه 67
المطلب الأول: السلوك الخلقي 67
المطلب الثاني: تربية الطفل.....72
المبحث الثاني: الصداقة، الخوف من الموت، الاستدلال على وجود الله وعلاقته بالأخلاق 79
المطلب الأول: الصداقة والمحبة 79
المطلب الثاني: الخوف من الموت وطرق علاجه.....84
المطلب الثالث: طبيعة الاستدلال على وجود الله.....90
خلاصة.....
خاتمة.....98
قائمة المصادر و المراجع.....100
ملخص 106
Sammury.....106

➢ ملخص:

لقد أسس ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية على أسس يونانية إسلامية، فقد حرص على التحلي بالأخلاق والفضيلة، فعلم الأخلاق عنده من أفضل العلوم لأنه يعنى بأفعال الإنسان، فمسكويه هو أول من وجه الأنظار الى الدراسات الأخلاقية بين فلاسفة الإسلام، كما حاول التوفيق بين النظر والعمل فضلا عن اهتمامه بتربية الأحداث كي يشبوا على الفضيلة.

وقد كان مسكويه منهج ومذهب في الاخلاق مهما تأثر باليونان، إلا انه اخذ أيضا من ضلال شعائر الإسلام، وبالتالي نجده قد جمع بين المصدر اليوناني والإسلامي، ماجعله يأخذ الطابع التوفيقي بين الفلسفة والدين.

والشيء الي جعل مسكويه يهتم بالأخلاق هو إشارته الى ضرورة تقويم الخلق على أساس فلسفي سليم حتى تصدر الأفعال عن النفس جميلة من غير كلفة ولا مشقة.

Sammury

Ibn miskawayh founded his moral philosophy on islamic greec foundations , He was keen to show morality and virtue for hem, the science of ethics is one of the best sciences because it deals with human action, miskawyah is the first to draw attention to ethical studies among Islamic philosophers, he also tried to reconcile consideration and action, in addition to hes interest by raising young people to grow up on virtue, miskawyeh was a method and doctrine in ethics, no matter how much he was influenced by Greece, but he also took from the shadows of the rituals of islam, and therefore we find that the combined the greek and Islamic source, which made him take the syncretistic nature beteween philosophy and religion, until action come out of the soul beautiful without cost or hardship.